جمعية مركز الإمام الألباني للدراسات والأبحاث

سلسلة الإصدارات العلميّة (٦٨)
الإصدار (١٤٣)

الملتقى العلمي الثاني

وحدة المسلمين بين التكوين والتمكين

عُقِد في المدّة

٢٠- ٢٢ ربيع الأوّل ١٤٢٦هـ الموافق ٢٩/ ٤ - ١/ ٥/ ٢٠٠٥م

شارك في الملتقى

فضيلة الشيخ صالح طه أبو إسلام
فضيلة الشيخ د. محمّد الحمود النّجدي
فضيلة الشيخ د. حسين بن عوده العوايشة
فضيلة الشيخ د. محمّد بن موسى آل نصر
فضيلة الشيخ أ. د. باسم بن فيصل الجوابرة
فضيلة الشيخ د. أكرم بن محمّد زيادة
فضيلة الشيخ عليّ بن حسن الحلبيّ

الملتقى العلمي الثاني

وحدة المسلمين
بين التكوين والتمكين

٢٠-٢٢/ ربيع الأول/١٤٢٦هـ

٢٩/٤-١/٥/٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة
الملتقى العلمي الدعوي
الثاني

فضيلة الشيخ الدكتور
محمد بن موسى آل نصر

مقدمة

الملتقى العلمي الدعوي الثاني

إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، **أمّا بعد:**

فقد سمعتُم أيها الإخوة هذه الآيات البيِّنات، التي تلاها الأخ الشيخ زياد العبادي -حفظه الله-، وهي -أي: هذه الآيات- من ثوابت هذه الدعوة المباركة، بل هي من ثوابت الإسلام، فإنّ الله عَزَّوَجَلَّ أمر المسلمين أن يعتصموا بحبله جميعًا، فالاعتصام لا بدّ له من الاجتماع، والاعتصام الذي يُرضي الله هو الذي يكون على كتاب الله، وهدي رسول الله ﷺ، وقد نهى الله عَزَّوَجَلَّ في أكثر من موضعٍ في كتابه، -وكذا على لسان رسوله ﷺ في وحي السنّة- نهى عن التّفرق والاختلاف: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم:٣١-٣٢]، بل جعل الله عَزَّوَجَلَّ الافتراق من مفارقة الدين، فالتفرُّق شعار المشركين، لا

عنوان الموحدين، فالموحدون هم أهل الرحمة، وأهل الرحمة أهل ائتلاف، لا أهل اختلاف، ولا أهل تفرُّق، ولا يعني ذلك أنهم لا يختلفون في الاستنباط، لا؛ إنّ اختلاف التنوُّع لا يفرّقُ كلمة المسلمين، إنّما الاختلاف المذموم هو الذي يؤدي إلى التّشتت، والتّفرُّق، والعداوة، والبغضاء، والتّحزُّب، والتّعصُّب للآراء.

إنّ التّفرُّق هو الذي يؤدي إلى ضعف الأمّة ووهنها، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ﴾ [الأنفال:٤٦]، فالفشل مرهونٌ ومقرونٌ بالتنازع، وذهاب القوّة، وهي التي عبّر ربُنا عنها بالريح ﴿وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾[الأنفال:٤٦]، والريح هنا هي القوّة، فمصادر قوّة المسلمين في وحدتها على توحيد ربّها، فتوحيد ربّها أساس وحدتها، ولهذا، فإنَّ نبينا ﷺ ظلّ ثلاث عشرة سنة وهو يدعو إلى التوحيد، ويُرسّخُ العقيدة الصحيحة، التي هي أساس الوحدة في قلوب أصحابه، وحثّ أمته على ذلك، فإنّ أوّل ما بدأ به ﷺ في هجرته أن أرسى قواعد المسجد، الذي هو منطلق كل خير، وأساس كل فضيلة، وأساسُ كلّ اجتماع، فانظروا إلى هذه الصلاة، كيف جمعت المئات -إن لم نقل الآلاف- خلف إمامٍ واحد، فهذه الأمّة، أمّة توحيدٍ، وأمّة وحدة، إلهها واحد، ونبيها واحد، وقرآنها واحد، وقبلتها واحدة، ومنهاجها واحد: كتاب الله، سنّة رسول الله ﷺ، ومنهج الصحابة الكرام، على ذلك نلتقي، وبخلاف

ذلك نفترق.

ثمّ إنّ هذا المركز المبارك (مركز الإمام الألباني) -بإعلانه هذا الملتقى تحت هذا الاسم- ليدعو كل مسلم آمن بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ ﷺ نبيًا ورسولًا أن يأتي إلى كلمة سواء، وأن ينبذَ البدع، والخرافات، والضلالات، والحزبيّات المقيتة، والغلو في الفهم لكتاب الله وسنّة رسوله، والخروج عن الصراط المستقيم، واتباع السُّبل التي هي من وحي الشيطان ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾.

إننا -أيها الإخوة، أيها الأحبّة- إذ نرفع هذا الشعار، وندعو إليه، فليس هذا من باب المناورة، بل هو جزء لا يتجزّأ من دعوة الكتاب والسنّة، هذه الدعوة السلفيّة التي سار عليها، وضحّى من أجلها أئمتنا وعلماؤنا، بدءًا بالسلف الصالح من الصحابة والتابعين وإلى هذا الزمن، خاتمين بِالذي سار ورفع هذا الشعار، وضحّى من أجله: إمام السنّة، وشيخ الإسلام الإمام محمد ناصر الدين الألباني وإخوانه من أئمة الدين، كالإمام ابن باز، وابن العثيمين، ومن سار على نهجهم.

إنّ توحيد كلمة المسلمين لا يكون إلا على منهج سوي، وصراط مستقيم، لا يكون إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنّة، وفهمهما على وفق فهم سلف الأمّة، لهذا -أيها الإخوة- ستستمعون في هذا الملتقى المبارك إلى

كلمات المشايخ الأفاضل -جزاهم الله خيرًا-، وستجدون تفصيلات، وتجدون إيضاحات، وبيانًا شافيًا وافيًا.

القسم الأول

المحاضرات والأوراق العلمية المقدمة للملتقى

١- توحيد الألوهية وأثره في وحدة المسلمين؛ الشيخ صالح طه.

٢- الوحدة بين المسلمين سنة كونية وفريضة شرعية؛ الشيخ حسين العوايشة.

٣- مقومات الوحدة بين المسلمين؛ د. باسم الجوابرة.

٤- عقبات في طريق الوحدة الإسلامية؛ د. محمد الحمود النجدي.

٥- أساليب أعداء الإسلام في تفريق كلمة المسلمين؛ د. محمد موسى نصر.

٦- قواعد منهج السلف في تحقيق الوحدة بين المسلمين؛ الشيخ أكرم زياده.

٧- شعار (نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه) رؤية شرعية - دراسة وتأصيلًا-؛ الشيخ علي الحلبي.

(١)

توحيد الألوهيّة وأثره

في

وحدة المسلمين

فضيلة الشيخ

صالح طه (أبو إسلام)

توحيد الألوهية وأثره في وحدة المسلمين

إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، اللهمّ صلّ على محمدٍ وعلى آله وصحبه، ومن استنّ بسنته إلى يوم الدين، **أمّا بعد:**

فإنّ أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثةٍ بدعة، وكلّ بدعةٍ ضلالة، وكلّ ضلالة في النار.

قبل أن نبدأ في محاضرتنا أقول للجميع: جزاكم الله خيرًا، وشكر الله لكم، لمن جاء من خارج المملكة من مشايخنا ومن طلاب العلم، ولمن جاء من داخل المملكة، خطواتكم جميعًا إلى الجنّة، ونسأله -سبحانه- كما جمع بيننا في هذا الملتقى المبارك، في هذا المسجد العامر، أن يجمع بيننا وبينكم في جنّات النّعيم في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر.

ومحاضرتنا هي: «**توحيد الألوهيّة وأثره في وحدة المسلمين**»، إخواني؛ وحدة المسلمين، واجتماع المسلمين، واتّحادُ المسلمين رحمةٌ، ومَطْلَبٌ

شرعيّ، يتمنّاه ويحرصُ عليه المؤمن الذي رَضِيَ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ ﷺ نبيًّا ورسولًا، وتفرّق المسلمين، واختلاف المسلمين، وضعف المسلمين الذي نراه اليوم عذاب، يرفضه الإسلام ولا يرضاه.

فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كتابه يأمر بالاتحاد والاعتصام والجماعة، وينهى عن التفرّق والاختلاف، والنبي ﷺ في سنّته يأمر بالاتحاد والاعتصام والجماعة، ويُحذّر من التفرّق والاختلاف، فالله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣]، ويقول ربُّ العزّة: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران:١٠٥]، ويقول ربُّ العزّة: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [الشورى:١٣]، وقال -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩]، ويقول ربّ العزّة: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ [الروم:٣١-٣٢]، ويقول النبي ﷺ: «**عليكم بالجماعة، وإيّاكم والفُرقة**»(١)، ويقول ﷺ: «**الجماعة رحمة، والفرقة عذاب**»(٢)، ويقول ﷺ: «**ستكون بعدي هنات**

---

(١) رواه الترمذي (٢١٦٥)، وصححه شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٩٣)، وحسنه شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهنات[١]**، فمن رأيتموه فارق الجماعة، أو يُريد أن يُفرّق أمر أمّة محمد كائنًا من كان فاقتلوه؛ فإنّ يد الله مع الجماعة، وإنّ الشيطان مع من فارق الجماعة يركض»**[٢]، ويقول النبي ﷺ: «**إنّ الله يرضى لكم ثلاثًا ويسخط لكم ثلاثًا، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويسخط لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»[٣]، ويقول النبي ﷺ: «**لا تختلفوا؛ فإنّ من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**»[٤].

إذن لا بدّ من الجماعة، والاتحاد، والاعتصام، إنها الرحمة بالأمّة، إنّها مصلحة الأمّة، ما منّا إلا ويرى الأحزاب كلٌّ يحرص على مصلحةِ الحزب، نقول: أمصلحةُ الحزب تقدّم على مصلحة الأمّة؟! لا يقول بذلك عاقل، فالأمّة تعذّب بتفرقها، واختلافها، وضعفها، فمن يرحم هذه الأمّة، من يرحم هذه الأمّة؟ وما هو السبيل إلى اجتماعها، وائتلافها، واتّحادها، أيكون ذلك بالتحزُّب؟! فما رأينا التحزُّبَ زادَ الأمّة إلا وهنًا، وضعفًا، وتفرقًا، أيكون ذلك بالدّخول والوصول إلى مجالس النوّاب والبرلمانات؟! فما نفعوا

---

(١) أي: شدائد، وعظائم، وفتن.

(٢) رواه ابن حبان (٤٥٧٧)، وصححه شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) رواه مسلم (١٧١٥).

(٤) رواه البخاري (٢٤١٠).

الأمّة، إنّما نفعوا أنفسهم، أيكون السبيل إلى اتّحاد الأمّة بالخروج على ولاة الأمر، وحدوث الانقلابات لتتّحد الأمّة؟! لا يرضى ذلك الشرع، ولا يقرّه، أيكون ذلك بتكفير ولاة الأمر والمسلمين، والخروج عليهم؛ لتتّحد الأمّة؟! فما زاد ذلك الأمّة إلا وهنًا، وضعفًا، ما هو السبيل لاتحاد الأمّة، لاعتصام الأمّة، لاجتماع الأمّة؟ ما هو السبيل لرحمة الأمّة التي تُعاني من التفرّق، والضعف، والاختلاف، الذي لا يغيب عن أحدٍ منكم، بل يراه كلٌّ منّا، ويتمنّى اليوم الذي تجتمع فيه الأمّة، ما هو السبيل؟

السبيلُ الوحيد هو التوحيد، فعلى التوحيد تتّحد الأمّة، ولا يخفى عليكم أنّ شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ الألباني كان دائمًا يقول: «**لا اتحاد إلا على التوحيد**»، لا اعتصام إلا على التوحيد، فعلى التوحيد تتّحد الأمّة.

والتوحيد يا إخوة الإسلام شأنه عظيم، سعادة العبد في الدنيا والآخرة بالتوحيد، شقاوة العبد في الدنيا والآخرة بالشرك، يقول ربُّنا جَلَّوَعَلَا في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم إنّك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثمّ استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم لو أتيتني -أي: يوم القيامة- بِقُراب الأرض**[1] **خطايا**

---

(١) أي: بملء الأرض.

ثمّ لقيتني لا تُشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة»[(١)]، يأتي العبد يوم القيامة بملء الأرض خطايا ولكنّه مات على التوحيد يغفر الله له، ولو لقي الله بالكبائر فعقيدتنا أنّه في مشيئة الله، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه، ثمّ يُدخله الجنّة.

أقول: مجتمعٌ يعيش على التوحيد، ودعاته يدعون الناس إلى التوحيد، وولاته يحكمون بشرع الله، فالناس في دُنياهم يتحاكمون لشرع الله، ويموتون على التوحيد، هذا مجتمع.

مجتمع آخر يُطبّق شرع الله، حزبٌ من الأحزاب، وصل بطريقة أو بأخرى إلى الحكم، ولكن هذا الحزب لا يهتم بالعقيدة، ولا بالتوحيد يُطبّق شرع الله، ولكنّ الناس يموتون في هذا المجتمع على الشرك، لا يموتون على التوحيد، فأين يُذهب بهؤلاء الذين يموتون على الشرك يوم القيامة، أظنُّ أنّ الجواب من الجميع: إلى النار.

مجتمع ثالث الناس يموتون فيه على التوحيد، وهذا المجتمع لا يحكم بما أنزل الله، فهؤلاء الذين يموتون على التوحيد في ظلّ دولة لا تحكم بشرع الله، أين يُذهب بهم يوم القيامة؟ أظنّ أنّ الجواب من الجميع: إلى الجنّة.

أظنُّ أنّ المجتمع الذي يحكم بما أنزل الله، والدعاة والعلماء وطلاب

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٤٠)، وصححه شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

العلم يدعون الناس إلى التوحيد، ويموتون على التوحيد، أظنّ أنّ هذا المجتمع الذي يرغبه ويرضاه الجميع.

الآن؛ نُريد أن نضع المجتمع الثاني بعد هذا، أهو المجتمع الذي يحكم بما أنزل الله ولا يهتم بأمر العقيدة والتوحيد، والناس يموتون على الشرك فيه، أم أنه المجتمع الذي يموت فيه الناس على التوحيد، ولا يحكم بما أنزل الله؟ أيهما يوضع في الدرجة الثانية، أجيبوا، الذي يموت الناس فيه على التوحيد؟ طبعًا، أقول ذلك ردًّا على كثيرٍ من الأحزاب الذين لا همّ لهم إلا أن يصلوا إلى الحكم، ثمّ يقولون: عندها نحكم بما أنزل الله، هم يريدون أن يصلوا إلى مناصب الدنيا، إنّما هو الهوى، وحبُّ الدنيا، وهذه طريقة تخالف طريقة الأنبياء؛ لأنّ الأنبياء جميعًا لم يفعلوا ذلك، ما جاءوا يطلبون الدنيا.

إخواني؛ دعوةُ التوحيد هي الأصل، العلماء، الدعاة، طلاب العلم، الخطباء يدعون الناس إلى التوحيد، فمن مات منهم مات على التوحيد، فمصيره إلى الجنّة يوم القيامة، وثمرةٌ من ثمرات التوحيد الحكم بما أنزل الله، إقامة الدولة الإسلاميّة ثمرة من ثمرات دعوة التوحيد.

إذن؛ التوحيد، ودعوة التوحيد هو الأساس الذي ينبني عليه، وتنطلق منه الصلاة، والزكاة، والحج، والجهاد، أمّا إذا كانت الصلاة، والزكاة، والصيام،

والحج لا تنطلق من التوحيد فلا يقبلها الله يوم القيامة.

والتوحيد -كما لا يخفى عليكم- قسّمه العلماء إلى ثلاثة أقسام:

١- توحيد الربوبيّة.

٢- توحيد الألوهيّة.

٣- توحيد الأسماء والصفات.

محاضرتنا على توحيد الألوهيّة، وأثره على وحدة المسلمين، توحيد الألوهيّة -كما لا يخفى عليكم-؛ لأنكم جميعًا طلاب علم هو: لا معبود بحقّ إلا الله، أو هو إفراد الله بالعبادة، ولذلك يُسمّى بـ(توحيد الألوهيّة)، ويُسمّى بـ(توحيد العبادة)، إذا أُضيف إلى الله فهو توحيد ألوهيّة، وإذا أُضيف إلى العابد فهو توحيد عبادة، فالله عَزَّوَجَلَّ هو المعبود بحقّ، لم؟ لأنّ الله أخبرنا في كتابه فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢]، بل وأرسل الرُّسل جميعًا وأوحى إليهم، بماذا أوحى إليهم؟ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، والعبد يصرف عبادته جميعها إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فمن صرف عبادةً -وإن قلّت- لغير الله فقد أشرك ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣]، توحيد الألوهيّة من أجله خلق الله الخلق ﴿وَمَا خَلَقْتُ

ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، من أجْل هذا التوحيد خلق الله هذا الكون، هذا الكون خُلِقَ من أجلك أيها الإنسان؛ لأنّك خُلقت لعبادة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ [يونس:٣].

من أجل هذا التوحيد بعث الله الرُّسل ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

من أجل هذا التوحيد أنزل الله الكتب، وأنزل الله على رسولنا هذا القرآن ﴿وَإِنَّهُۥ[1] لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥]، وفي سورة يس: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس:٧٠]، ونحن نذهب نقرؤه على الأموات، عجيب!! القرآن ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾، والعجيب تجد الناس يقرؤونها على الأموات، والناس في ذلك يذكروننا برجل يقرأ القرآن، قاعد يقرأ القرآن لكن لا فهم ولا علم، هو يقرأ يقول: (وخرّ عليهم السقف من تحتهم)، واحد قال له: الله لا يكسبك، لا فهم ولا علم؛ كيف السقف ومن تحتهم، من فوقهم، فهذا مثله، ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ ويقرؤونه على الأموات، و(اقرأوا يس على موتاكم) كما تعلمون أنه لا يصح.

---

(١) أي: القرآن.

من أجل هذا التوحيد قاتل النبي ﷺ الكفّار والمشركين، قال ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عَصَمَ نفسه وماله إلا بحقّه، وحسابه على الله**»(١).

من أجل هذا التوحيد رُفعت راية الجهاد في سبيل الله، أين راية الجهاد التي تُرفع لإعلاء كلمة (لا إله إلا الله)، لا يمكن تُرفع هذه الراية إلا بالرجوع إلى الدين، وفهمِهِ فهمًا صحيحًا، ولذلك في الحديث الذي لا يخفى عليكم، يقول ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة**(٢)، **وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع**(٣)، **وتركتم الجهاد في سبيل الله سلّط الله عليكم ذلًا لا ينزعه عنكم**» ما قال النبي ﷺ «**حتى تجاهدوا في سبيل الله**»، بل قال: «**حتى ترجعوا إلى دينكم**»(٤)، فإذا رجعت الأمّة إلى دينها تُرفع راية الجهاد في سبيل الله، أمّا إذا رفعوا راية بدون الرجوع إلى الدين تجد الراية، إمّا حزبيّة، إمّا وطنيّة، إمّا شجاعة، إلى غير ذلك من الأسماء التي نسمعها.

من أجل هذا التوحيد يبعث الله العباد يوم القيامة ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا

---

(١) رواه البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٢٠).

(٢) نوع من أنواع الربا الأمّة واقعة فيه، بل في كل أنواع الربا إلا من رحم ربي.

(٣) كناية عن حبّ الدنيا ونسيان الآخرة.

(٤) رواه أبو داود (٣٤٦٢)، وصححه شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [النجم:٣١].

من أجل هذا التوحيد تُنصب الموازين يوم القيامة، من أجل هذا التوحيد يُحاسب الله عَزَّوَجَلَّ العباد: «ما منكم من أحد إلا وسيكلمه ربّه ليس بينه وبينه ترجمان»(١)، وينقسم الناس بعد الحساب إلى فريقين ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى:٧] على هذا التوحيد، ولذلك يقول القائل:

مثّل وقوفك يوم العرض عريانا ... مستوحشًا قلق الأحشاء حيرانا

والنار تلهب من غيظٍ ومن حنقٍ ... على العصاة وربّ العرش غضبانا

اقرأ كتابك يا عبدي على مهل ... هل ترى فيه حرفًا غير ما كانا

لَمّا قرأت ولم تنكر قراءته ... إقرار من عرف الأشياء عرفانا

نادى الجليل خذوه يا ملائكتي ... وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانا

المجرمون غدًا في النار يلتهبوا ... والمؤمنون في دار الخُلد سكانا

المجرمون مخلَّدون في نار جهنّم؛ لأنهم ضيّعوا هذا التوحيد، والمؤمنون الذين حقّقوا هذا التوحيد في حياتهم في دار الخلد سكانا.

وجاء الأنبياء يهتمون بهذا التوحيد (توحيد الألوهيّة)، للأسف الشديد

---

(١) رواه البخاري (٣٥٩٥)، ومسلم (١٠١٦).

ترى كثيرًا من الجماعات، أو من المسلمين لا يُفرّق بين توحيد الربوبيّة وتوحيد الألوهيّة، يقول لك: المهم أن تعرف أنّ الذي خلقك الله، والذي يرزقك الله، والذي أوجدك الله، والذي سوف يميتك هو الله، والذي خلق السماء والأرض الله، هذا توحيد الربوبيّة، يُقرُّ به الكفّار، ومع إقرارهم بهذا التوحيد قاتلهم رسول الله ﷺ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥] عارفين، ليس هذا هو التوحيد.

توحيد الألوهيّة، اهتمّ الأنبياء بهذا التوحيد، اقرأوا القرآن، ما من نبي إلا وهو يقول لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩] اقرأ، كلّ الأنبياء ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾، وما من نبيّ إلا وقال لقومه ﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾ [هود:٢٩]، ﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الأنعام:٩٠]؛ لأنّ الناس أول ما تدعوهم يقولون: معقول أنت تدعونا لله، أنت أكيد أكيد، أنتم دعوتكم هذه تريدون أن تصلوا إلى مناصب، تريدون مالًا، معقول لله؟!

ولذلك نحن نقول لولاة الأمر: والله دعوتنا لا ننازعكم في كراسيكم، وكان الله في عونكم، ولا نخرج عليكم، ولا نرى الخروج عليكم، فاطمئنوا من جهتنا، إنّه دين.

ونقول -أيضًا- للأحزاب: بدعوتنا والله لا ننافسكم فيما تريدون من

الوصول إلى مناصب الدنيا، لا؛ دعوتنا ندعو الناس ليخرجوا من الظلمات إلى النور، ليخرجوا من عبادة العباد لعبادة ربّ العباد، دعوتنا دعوة نأخذها من الكتاب والسنّة، لا نُريد شيئًا مما يتطلَّعُ إليه الناس، ولذلك لمّا جاء النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ قال لهم: ﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾، ﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ اطمئنوا.

يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، هناك في بلاد مصر بيع وتربى في بيت العزيز، ودخل - كما تعلمون- مظلومًا السجن، لو دخل اليوم حزبي، أو من هؤلاء الذين تربوا على عداوة ولاة الأمر، ودخل مظلومًا السجن مثل يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ماذا تتوقعون أنه فاعل في داخل السجن؟

أولًا: يجمع المساجين ويقول لهم: هذا الحاكم الذي سجنني هذا ظالم، وهو سجنكم ظالم، لازم نعمل تكتُّلًا نتربى عليه؛ وَعندما نطلع نخرج على ولي الأمر الظالم الذي ظلمنا وأدخلنا السجن، ونمسك الحكم مكانه، يوسف نبيُّ الله فعل ذلك؟ فماذا فعل يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟

دعا إلى التوحيد، أم دعا إلى حزبيّة وإلى خروج على ولي الأمر، مع أنّ البيئة التي يعيش فيها كلّها كافرة ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف:٣٩-٤٠]، إيش معنى إن الحكم

إلا لله؟ الآن صار بعض الأحزاب يقول لك: الحاكميّة لله، هي الحكم لله، أنَّثوها! كان شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: أنا لا أعرف لماذا أنَّثوها، لماذا جعلوها حاكميّة؟ الحكم لله، سيدنا يوسف يقول: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧] كيف؟ الخوارج لمّا خرجوا على علي بن أبي طالب قالوا: كيف حكمتم الرجال والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، والآن كلّهم؛ كيف تحكمون بغير ما أنزل الله ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، طيب، الله عَزَّوَجَلَّ يبيّن ما معنى ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾؛ ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف:٤٠]، تعال فهّم الأحزاب والحركيين والتكفيريين هذا، يقول لك: لا، لا، لا.

هذا الذي فعله الرُّسل ودعوا الناس إليه ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف:٤٠]، التوحيد، العقيدة أولًا، ثمّ بعد ذلك ثمرة من ثمرات هذا التوحيد: الحكم بما أنزل الله، ثمرة من ثمرات دعوة التوحيد.

وهذا الحكم بما أنزل الله وإقامة الدولة الإسلاميّة متى يكون؟ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران:١٧٩]، أنت عليك أن تدعو الناس إلى التوحيد، وللعقيدة الصحيحة، قطفت من هذه الثمرة في حياتك فالحمد لله، إذا لم تقطف يقطف من بعدك.

رسولنا الكريم ﷺ في مكّة لمّا جاء يدعو الناس إلى لا إله إلا الله، ويقول لهم: قولوا لا إله إلا الله، ثلاث عشرة سنة يدعو الناس إلى لا إله إلا الله،

والآيات والسور التي نزلت في مكّة كلُّها ترسّخ العقيدة والإيمان في قلوب الناس، لا يوجد أحكام، وكما تعلمون قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**نزل على النبي** ﷺ **وأنا جارية ألعب** ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر:٤٦]»، هذه في سورة القمر، تقول: «**ونزلت سورة البقرة والنساء وآل عمران على رسول الله وأنا معه**» أين؟ في المدينة، الأحكام كلها نزلت في المدينة، في مكة توحيد، «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»، حتى أنّ الكفّار قالوا: تريد دنيا، تريد مالًا، ماذا تريد؟ قال: لا أريد إلا أن تقولوا: لا إله إلا الله، تعبدوا الله عَزَّوَجَلَّ وحده، حتى تعجّبوا ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥]، فمن أجل هذا التوحيد ترك مكّة والصحابة تركوا مكّة.

على هذا التوحيد جمع النبي ﷺ بين القرشي، والفارسي، والحبشي، والرومي، والذكر، والأنثى، والكبير، والصغير، سلمان الفارسي، أبو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، علي بن أبي طالب كان صغيرًا في السن، خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، صهيب الرومي، بلال الحبشي، اجتمعوا جميعًا على لا إله إلا الله.

جمع النبي ﷺ على هذا التوحيد (توحيد الألوهيّة) بين الأوس والخزرج، وامتنّ الله عليهم بهذه النعمة ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٣].

وفي غزوة حُنين أخذ الأنصار في خاطرهم لمّا أعطى النبي ﷺ بعض العرب من مكّة من غنائم حُنين وزادهم؛ يؤلف بذلك قلوبهم، فجمعهم النبي ﷺ، وقال: «**يا معشر الأنصار؛ ألم أجدكم ضلالًا فهداكم الله بي؟! ألم أجدكم عالةً فأغناكم الله بي؟! ألم أجدكم متفرقين فألّفكم الله بي؟!**»(١) وهذا هو الشاهد.

بل على هذا التوحيد (توحيد الألوهيّة) ندعو النصارى واليهود أن يكونوا معنا جماعةً واحدة، لكن ليس مثل بعض الأحزاب؛ مؤسس الحزب كان مديره الشخصي، الأمين على أسراره نصراني، هذا يقول: لا إله إلا الله، وهذا مديره يقول: عيسى ابن الله، وعيسى هو الله، وعيسى ثالث ثلاثة، انظر التناقض العجيب، لا؛ ندعو النصارى واليهود أن يكونوا معنا جماعةً واحدة على هذا الأساس، وعلى هذا التوحيد، يقول الله عَزَّوَجَلَّ لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤].

وفعل النبي ﷺ ذلك، فأرسل إلى هرقل وغيره: «**من محمدٍ رسول الله إلى هرقل عظيم الروم؛ السلام على من اتّبع الهُدى، أمّا بعد: أسلم تسلم**

---

(١) رواه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١).

يؤتك الله أجرك مرتين»[(١)]، وكتب له الآية ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ كما سمعتم.

ما أثر وثمرة اتحاد الأمّة على توحيد الألوهيّة؟ إذا اتّحدت الأمّة على توحيد الألوهيّة، على توحيد العبادة، **على العقيدة الصحيحة:**

الثمرة الأولى: الهداية إلى كلّ خير؛ فالهداية مرتبطة بالاتحاد والاعتصام على هذا التوحيد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢-١٠٣]، فالهداية إلى كل خير بالاعتصام والاتحاد على توحيد الألوهيّة.

الثمرة الثانية: تقوى الله، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٩٢]، توحيد الألوهيّة، وفي موضع آخر: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون:٥٢]، ويقول ربُّ العزّة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١]، ولمَّا تتقي الأمّة ربها بالاتحاد والاعتصام على توحيد الألوهيّة يجعل الله لها مخرجًا، وثمرات التقوى لا تغيب عنكم.

---

(١) رواه البخاري (٧، ٢٩٤١)، ومسلم (١٧٧٣).

الثمرة الثالثة: الرحمة، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة:٧١]، وهؤلاء الذين حققوا توحيد الألوهيّة ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٧١]، وقال -تعالى-: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود:١١٨-١١٩]، والنبي ﷺ يقول: «**الجماعة رحمة والفرقة عذاب**»(١)، فإذا اجتمعت الأمّة على توحيد الألوهيّة يرحمها الله.

الثمرة الرابعة: الأخوّة، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]، وإنّما أداة حصر، حصر الله الأخوَّة بين المؤمنين فقط، النصارى ما بينهم أخوَّة، اليهود ما بينهم أخوَّة ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر:١٤]، الأخوّة الحقّة بين المؤمنين الذين اجتمعوا على توحيد الألوهيّة، على العقيدة الصحيحة ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، ويقول النبيُّ ﷺ: «**المسلم أخو المسلم**»(٢)، ويقول ﷺ: «**وكونوا عباد الله إخوانا**»(٣).

الثمرة الخامسة: التماسك، هذا التماسك الذي نحن في حاجة إليه،

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٩٣)، وحسنه شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) رواه البخاري (٢٤٤٢).

(٣) رواه مسلم (٢٥٦٤).

والأمّة في حاجة إليه، الآن الأمّة متفرقة، التماسك، يقول النبي ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا»(١)، وشبّك ﷺ بين أصابعه، متى نكون هكذا؟ عندما نجتمع على (لا إله إلا الله)، على توحيد الألوهيّة، ويقول النبي ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى**»(٢).

الثمرة السادسة: النصر، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧]، الذين اجتمعوا على توحيد الألوهيّة، على العقيدة الصحيحة، حقّ على الله أن ينصرهم، وقال -تعالى-: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر:٥١]، وقال -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥]، الذين اجتمعوا على توحيد الألوهيّة.

الثمرة السابعة: التمكين في الأرض، الأمّة إذا اجتمعت على هذا الأساس، على هذا التوحيد مكّنها الله في الأرض ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور:٥٥] شريطة:

---

(١) رواه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥).

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٦).

﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور:٥٥]، يحققون الاجتماع، والاتحاد، والاعتصام على توحيد الألوهيّة.

الثمرة الثامنة والأخيرة: الأمن والأمان ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

تبيّن للجميع أن بتوحيد الألوهيّة والاجتماع عليه تتحد الأمّة، على التوحيد نتّحد، احفظوها، هذه الكلمة كنت أسمعها كثيرًا من شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ «على التوحيد نتّحد»، على التوحيد تتّحد الأمّة، على غير التوحيد لا تتحد أبدًا، انظروا إلى واقع الأمّة الآن؛ اجتمعوا واعتصموا على غير التوحيد فتفرقوا، ما من حزب ولا جماعة إلا وكل يوم تطلع منها جماعة، كل يوم تتفرّق منها جماعة، السبب: لأنهم لم يُقيموا هذا الاتحاد وهذا الاجتماع وهذا الاعتصام على توحيد الألوهيّة.

بقي لنا الآن؛ الطريق إلى هذا التوحيد، كيف الأمّة الآن تجتمع على هذا التوحيد؟ أقول كلمة واحدة: العلاج لواقع الأمّة المعاصر الآن من التفرّق والتحزُّب هو كما ذكرنا في قوله -تعالى-: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:١٠٨]، الدعوة إلى الله على منهاج النبوّة، لا ندعو إلى حزبيّة، ولا ندعو إلى تكتُّل، ولا ندعو إلى تنظيم، إنّما ندعو إلى الجماعة التي تؤسس على هذا التوحيد، وهو توحيد الألوهيّة.

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من العاملين والداعين إلى الله على منهاج النبوّة، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلِّ اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلّم، وجزاكم الله خيرًا.

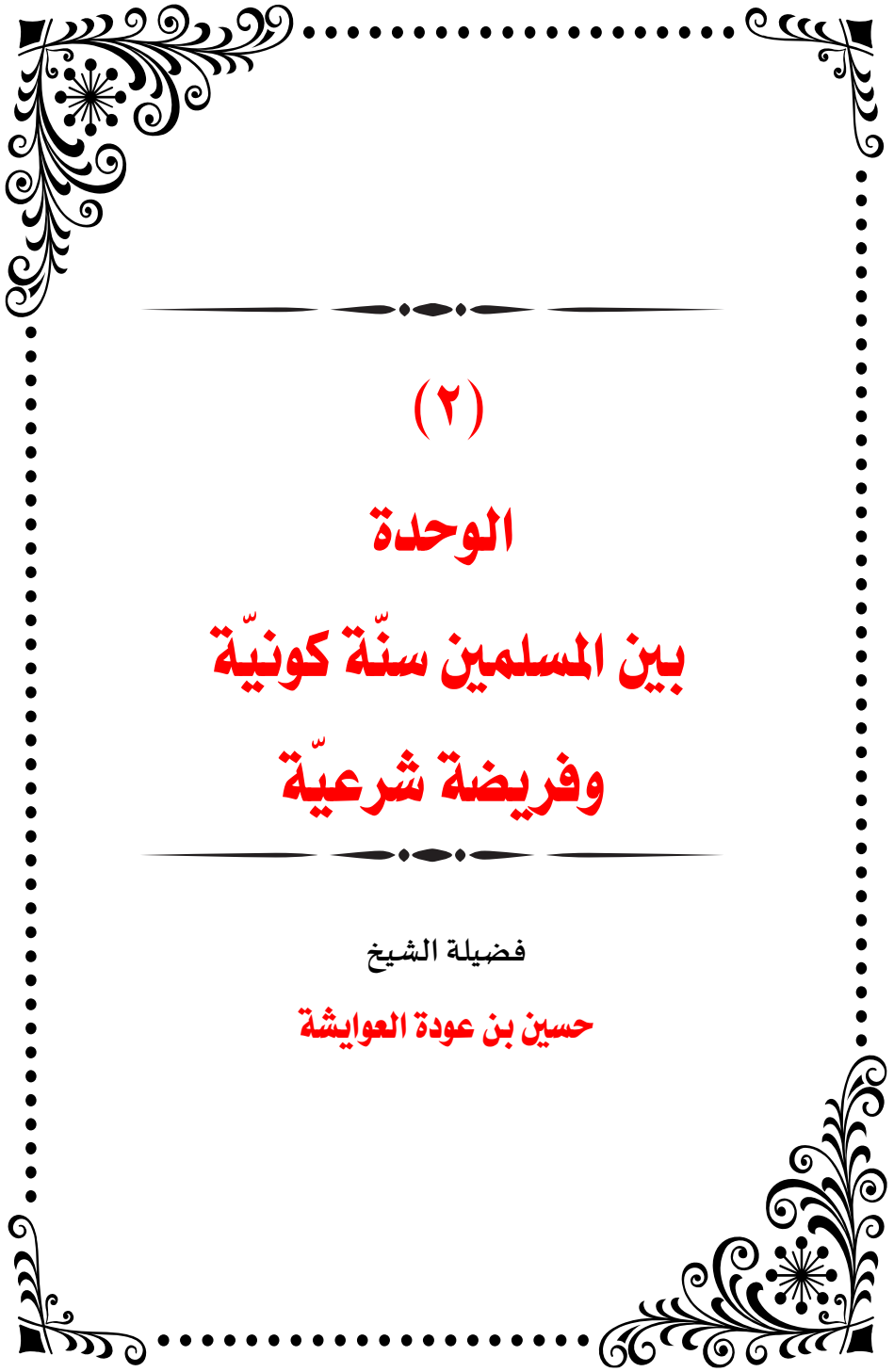

(٢)

الوحدة
بين المسلمين سنّة كونيّة
وفريضة شرعيّة

فضيلة الشيخ

حسين بن عودة العوايشة

الوحدة بين المسلمين سنّة كونيّة وفريضة شرعيّة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فإنّ الله عَزَّوَجَلَّ أمر بالاتفاق، ونهى عن الاختلاف، قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ﴾ [الأنعام:١٥٩]، وقال -سبحانه-: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم:٣٢]، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام:١٥٣]، ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى:١٣]، ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٣]، ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، والآيات في ذلك كثيرة معلومة.

والله عَزَّوَجَلَّ قد أمر بالاعتصام بحبله المتين كما، قال -سبحانه-: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾، أي بعهد الله، فقيل: يعني القرآن، اعتصموا

بالقرآن العظيم، فإذا اعتصمنا بالقرآن والسنّة كان ذلك سببًا في اتحاد المسلمين، ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ فقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ بالجماعة ونهى عن الفرقة، كما في حديث النبي ﷺ: «**إنّ الله -تعالى- يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا؛ يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»(١).

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُريد أن يكون الناس أمّة واحدة، ولكنّ الله عَزَّوَجَلَّ يأبى أن يكون اجتماعهم على الكفر أو على الشرك، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ...﴾ [الزخرف:٣٣-٣٥] إلى آخر الآيات، ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: لولا أن يعتقد كثير من الناس من الجهلة أنّ إعطاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المال إنما هو دليل على محبّة الله هكذا، إنما هو دليل على المحبّة لمن أعطاه، فبذلك يجتمع على الكفر لأجل المال، فلأجل ذلك فإنهم يجتمعون على الكفر لأجل المال، يقول -سبحانه-: ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾ يعني: سلالم ودرجًا من فضّة، ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾: يصعدون، ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا﴾ أي: أعلاقًا على الأبواب، ﴿وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ﴾ من

(١) رواه مسلم (١٤١٥).

الفضّة، ﴿وَزُخۡرُفٗاۚ﴾ من الذهب، فالله عَزَّوَجَلَّ يأبى أن يكون الناس أمّة واحدة على الكفر.

فقد اجتمع الناس اجتماعًا كونيًّا قدريًّا قهريًّا لضعفهم وعجزهم وبشريتهم في مراحل عديدةٍ كثيرة وفيرة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ﴾ [الأعراف:١٧٢]، فكلّهم يشتركون في هذا الإقرار، وفي هذا الاعتراف، وفي هذا التصديق، ولكن بقي على العهد من بقي وكفر من كفر، ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الكهف:٥١]، فالله سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ بيَّنَ أنّ العباد وأنّ الناس مشتركون في الضعف والتسليم والقهر لله ربّ العالمين.

وكذلك: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ﴾ [الإسراء:٨٨]، فلو اجتمعوا بكل مللهم ونحلهم على أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو ببعض منه فإنهم عاجزون، فاجتمعوا على هذا العجز، وهكذا ما يتعلّق بمراحل العجز والضعف التي اجتمعوا فيها، تمتد حتى القبر والبعث والحشر، ذلك يوم مجموع له الناس، فلا يستطيع أحد أن يتخلّف عن هذا.

﴿إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾ [الرحمن:٣٣]، فهذا تعليق بمستحيل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء:١]، فلا يستطيع المرء أن يخرج عن هذه القاعدة، فهم مجموعون، ومجتمعون، ومتحدون في هذا الضعف وفي هذا القهر.

أمّا من حيث السنّة الكونيّة، فالشمس تكوّر، والنجوم تنكدر، والجبال تسير، والبحار تسجّر... إلخ، إذا انتهت عبادة الله عَزَّوَجَلَّ، فلا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، فهنالك انسجام وتوافق بين الطبيعة، بين السماوات وبين الأرض، والطيور، والنباتات، والحيوانات، فكلّ يؤدي دوره، فهنالك اجتماع، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف:٥٤]، كلٌّ منهما يطلب الآخر طلبًا حثيثًا أي: سريعًا، لا يتأخّر عنه، إذا جاء هذا ذهب هذا، وإذا ذهب هذا جاء هذا، فهذا يذهب بظلام هذا، وهذا يذهب بضياء هذا، فالضياء يذهب بالظلام، والظلام يذهب بالضياء ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ سريعًا ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأعراف:٥٤] تحت قهره وتسخيره ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]، فالاجتماع، والاتحاد، والوحدة، إنما تكون كونًا، وقدرًا، وأمرًا، وشرعًا، فهذا خلقه وهذا أمره ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وإذا تأملنا ما يتعلّق بمقومات هذه الوحدة فلا بدّ أن يكون التفاهم باللغة

العربيّة، وكذلك كان، فاللغة العربيّة هي لغة القرآن الكريم، وهي لغة السنّة، وهي لغة السلف الصالح، وعندما مضوا على هذا العهد وهذا الأمر فإنّ الله عَزَّوَجَلَّ قد يسّر للأعاجم، يسّر لهم تعلّم العربيّة ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧]، فهو قرآن ميسّر ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ﴾، قرآنٌ ميسّر بحمد الله وتوفيقه، فالأعاجم تعلّموا لغة العرب، بل برعوا في فنون المعرفة، وضروب العلم، حتى إنهم كانوا بارعين في أمور اللغة، نحوها، وصرفها، ومختلف فنونها وعلومها، وكذلك في رواية الأحاديث وغير ذلك من علوم الشرع، وظلت هكذا عوامل الاتحاد والائتلاف قويّة عند المسلمين ولم تنخرم إلا عندما كان للشعوبيّة التي أراد كلّ شعبٍ أن يستعليَ بمعزلٍ عن شريعة الله عَزَّوَجَلَّ، فالشعوبيّة باتساع قوميّاتها هي التي كانت سببًا في هدم ما انهدم، ويأبى الله إلا أن يُتمّ نوره سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

والله عَزَّوَجَلَّ قد أمرنا بأن نكون مؤتلفين ومتحدين لا أن نكون مختلفين، يقول سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٩٢]، فما هي النتيجة؟ ﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾ [الأنبياء:٩٣]، ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: إنّ دينكم دين واحد، يقول الحسن البصري في هذه الآية: «يبيّن الله عَزَّوَجَلَّ لهم ما يتقون وما يأتون»، هذه قاعدة جليلة، وهذا أمر مهم جدًا، يقول: «يُبيّن لهم ما يتقون وما يأتون»،

فهذه من جوامع الأوامر، ومن جوامع الآيات التي فيها الخير والبر.

ثم يقول: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ يعني أنّ سنّتكم سنّة واحدة، وقال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**الأنبياء إخوة لعلات؛ أمهاتهم شتّى ودينهم واحد**»، والعلات: هي الضرائر، أصله من الشرب بعد الشرب، يعني: من تزوج امرأة ثمّ تزوّج أخرى، فإنه علّ منها، وعلّ منها: كما يكون المرء قد شرب، فالشرب بعد الشرب هذا معناه، ومعنى الحديث: أنّ أصل دينهم واحد، وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع.

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:٢١٣]، يروي ابن جرير عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان بين نوحٍ وآدم عشرة قرون كلها على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيّين مبشرين ومنذرين»، إذن الأصل هو الاتفاق وأنهم على شريعة واحدة هي شريعة التوحيد، فكان الاختلاف فبعث الله النبيّين مبشرين ومنذرين، فالأنبياء هم سبب لالتقاء الناس، وعلاج ما فسد من هؤلاء الناس، ويقول بعض السلف: «كانوا على الهدى جميعًا، فاختلفوا، فبعث الله النبيّين مبشرين ومنذرين»، فكان أوّل نبيٍّ بعث نوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهكذا، فالأصل أنهم كانوا على دينٍ واحد، وعلى فطرة

مستقيمة، وعلى الصواب، ولكن عندما كفر من كفر من قوم نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بعث الله عَزَّوَجَلَّ النبيّين مبشرين ومنذرين، وبعث نوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لإصلاح عقيدة الناس، ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: عند الاختلاف أنهم كانوا على ما جاءته به الرسل قبل الاختلاف، وَفي بعض القراءات ﴿وليكونوا شهداء على الناس [يوم القيامة] والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾، وكان أبو العالية يقول: «في هذه الآية المخرج من الشبهات والضلالات والفتن»، هذه الآية إخواني في سورة البقرة (٢١٣)، يقول: «في هذه الآية المخرج من الشبهات والضلالات والفتن»، وهذه تحتاج حقيقةً إلى تأمّل، وإلى تدبّر، وإلى أن نراجع أقوال المفسرين، ولا يتسع المقام إلى التفصيل في مثل هذا الوقت الضيّق المحدود.

والحاصل: أنّ الناس اختلفوا من بعد ما جاءتهم البيّنات (بغيًا بينهم) كما قال الله عَزَّوَجَلَّ، فما الحل؟ هل تلغى البيّنات؟! اختلفوا من بعد ما جاءتهم البيّنات بغيًا بينهم، ما هو الحل؟ وما هو سبيل الائتلاف؟ وما هو سبيل الاتحاد واللقاء؟ هل تُلغى البيّنات؟! معاذ الله، إذن لا سبيل إلا بقبول البيّنات، و-أيضًا- ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ﴾ [الشورى:١٤] أي: إنما كان مخالفتهم للحقّ عندما بلّغه إليهم، وعندما قامت عليهم الحجّة، وما حملهم على ذلك إلا البغي، والعناد، والمشاقّة، إذن هل

نُلغي العلم؟ ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ﴾، فالعلم مفرّق، والبيّنات مفرقة، والنبي عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مفرّق، ودعوتنا مفرّقة بين الحق والباطل، لا بدّ أن نُفرّق بين الحق والباطل، بين المجرم وبين المنصف، لا نريد أن نجمع بين المجرمين وبين قتلة آبائهم وأمهاتهم وأحفادهم، لا نريد أن نجمع بين السارق وبين المسروق منه، إذن هذه دعوة مفرِّقة، لكن مفرّقة بالحق، وهي دعوة تجمع بالحق وتفرّق بالحق، فلا بدّ من التفريق، ولا بدّ من الجمع، حينما يلزم التفريق فلا بدّ منه، وحينما يلزم الجمع فلا بدّ منه، وهذه سنّة ماضية.

ولو أنّ الناس قد اختلفوا مثلًا، فبعضهم قال: السرقة فضيلة، وبعضهم قال: السرقة رذيلة، هل لأجل أن يكونوا متّحدين متآلفين نقول: لا إشكال، نُريد أن نجعل السرقة فضيلة من الفضائل؛ حتى يجتمع الناس، هل هذا مقبول؟! وإن اختلفوا بين التوحيد والشرك، نقول: لا إشكال، نُريد -عياذًا بالله- أن نجتمع على الشرك، وهكذا، فهؤلاء الناس لا يُريدون أن تجمعهم مع من ظلموهم، أو قتلوا آبائهم، فكيف يُريدون أن نجمع المشرك مع المؤمن، فهذا لا يجوز أبدًا، لذلك جاء التوجيه الربانيّ بعد هذه الآية العظيمة بقوله -بعد كلّ ما تقدّم: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ﴾ [الشورى:١٥]، فإنهم يؤصلون ويقعّدون في عوامل اللقاء والائتلاف والاتحاد،

يؤصلون ويقعدون تأصيلات باطلة، وقواعد زائفة، إنما هي مبنيّة على الأهواء ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾، إذن ﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ۖ﴾ أنت ومن معك من سلف هذه الأمّة ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾، فاعبد الله وحده لا شريك له، واتبع نبيّك ﷺ ومنهج السلف الصالح ولا تتبع أهواءهم فإنهم يزنون ويكيلون بموازين ومكاييل لا تصلح أبدًا.

وقد سبق في علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما كان وما يكون من اختلاف، سبق في علم الله، وقد تلونا الآيات العظيمة، ولكن ما هي الثمرة؛ وقد علمنا ما كان وما سيكون من اختلافٍ في البشريّة، ولكنّ الثمرة أن نسعى للنجاة، وأن نكون مفاتيح خير مغاليق شر -كما ذكر بعض العلماء-، فلا بدّ من توحيد الخالق -سبحانه-، إذا كنّا نُريد الوحدة فلا بدّ أن تكون على توحيد الخالق -سبحانه-، وعلى توحيد الاتباع، وعلى توحيد المنهج، وعلى الاستجابة للنبي ﷺ ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤]، فهذا منهج نبوي تطبيقي علميٌّ عمليّ، يقوم على العدل كما قال بعض أهل العلم.

وأول الخطوات التي نسعى فيها لاتحاد الأمّة هي التوحيد العقدي، والتوحيد المنهجي، فيكون توحيدًا نبويًّا، صحابيًّا، سلفيًّا، أثريًّا، وأن يكون التوحيد ثقافيًا في ضوء ذلك، وهذا لا يجتهد في جمعه البتّة، لا يجتهد في

جمع منهج هذا التوحيد، أو الائتلاف واللقاء، بل إنّ الاجتهاد كلّ الاجتهاد في استقرائه، واستقصائه، وتلقيه من نبع النبوّة، لا يُجتهد في جمعه من عقولٍ ومن أخلاق وإنما لا بدّ من الإبداع إن كان ولا بد، إنما الإبداع كل الإبداع يتجلّى في استقرائه واستقصائه، ومعرفة ينبوعه، ولا يكون هنالك إلا أن يستقى من ينبوع الوحيين الكتاب والسنّة.

ولا بدّ من منع النزاع بين الأقاليم والولايات، لا بدّ أن تنزع هذه، فهذه من عوامل الدمار؛ كالتعصّب للمذاهب، والتعصُّب للطوائف، والتعصّب للملل والنحل من أبرز الأسباب في اصطناع الفرقة، واصطناع التأويل والتحريف انتصارًا للمذهب، والملّة، والنحلة، والقوميّة، والقناعة التي تُخالف شرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما -مثلًا- صنعت الشيعة الشنيعة الخبيثة؛ فإنهم عندما رأوا أنهم مغلوبون لا محالة قالوا: هذا الكتاب زائف ومزوّر؛ لأنّ القرآن حقيقةً قد أقام عليهم الحجّة، فقالوا: ليس في هذا المصحف من مصحف فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، هنالك مصحف اسمه مصحف فاطمة ليس فيه مما في مصحف أهل السنّة كلمة واحدة -عياذًا بالله-، وألّف مؤلفهم كتابًا سمّاه: «فصل الخطاب في تحريف كتاب ربّ الأرباب»، فأثبت أنّ الكتاب لربّ الأرباب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ثمّ أثبت التحريف، فقالوا بتحريفه؛ لأنهم وإن كانوا يأولون وعندهم اللف والدوران، لكن مع ذلك وجدوا أنفسهم أنهم يغلبون

مرات كثيرة، ولو أنّهم كانوا يلفون ويدورون.

ثمّ إنّ السنّة التي قيّدت، والتي بيّنت، والتي حدّدت، والتي أفحمت هؤلاء، قالوا: ليس لنا من سبيل إلا أن نشكّك في هذه السنّة، لا بدّ لنا أن نُشكّك في السنّة، وكيف السبيل للتشكيك في السنّة، لا بدّ من التشكيك في النقلة وفي الرجال، فشككوا في الصحابة، وكفروا الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ إلا ثلاثة، فيؤول الأمر إلى الكفر بالقرآن وإلى الكفر بالسنّة -عياذً بالله-، وإلى الكفر بمنهج السلف، فكان أعدى الأعداء عندهم منهج السلف الصالح، كما يُصرّحون بذلك، فهذا هو القول اللغوي والعملي، فهم قد هدموا بأفواههم، والله متمّ نوره سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، بل أرادوا أن يهدموا ولكنّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ غالبٌ على أمره، فانظروا كيف أرادوا أن ينصروا مذهبهم، وشرعهم الباطل من خلال تكفير الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ؛ ليكفر الناس بالقرآن، وليكفروا بالسنّة، وليكفروا بمنهج سلف الأمّة، فالتعصب للمذاهب والطوائف والملل والنِّحل هو أبرز الأسباب في اصطناع الفرقة، واصطناع التأويل، والتحريف، والوضع، واصطناع الإشكالات والافتعالات من أجل التفرّق، وكثير من الناس ممن يتهمون شيخنا بالإرجاء والله الذي لا إله إلا هو لا يعلمون ما هو الإرجاء، ولا يعلمون من هو الشيخ، أو إنهم والله يعلمون أنّ الشيخ بريء، ولكنهم لا يريدون أن يعلموا الحقّ ولا الحقيقة، ولكنهم افتعلوا هذه

الضجّة، ولم يريدوا المناظرة، ولم يريدوا الحق، ولم يريدوا أن يسمعوا، لا يُريدون أن يسمعوا أبدًا، لكنهم يريدون أن تكون الفتنة في الأرض، وأن تكون الشبهات، وأن تكون الفرقة، بل يريدون أن يُقيموا الحجّة -بزعمهم-، ولا يُريدون أن يُمضوا قوله -تعالى-، ونحن نقول: -بزعمهم-: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه:٤٣]، فهم يزعمون أنه مرجوء، والله إنه لأهون في ميزانهم من فرعون ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾، فهل ذهبوا إليه؟ لا؛ وإنما كان منهم اكتفاء من خلال أجهزة الإعلام المختلفة لاتهام الشيخ وتلاميذه بالإرجاء، وهذه والله سيسألون عنها يوم القيامة، ولقد قال عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: «**من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال**»(١)، وهي عصارة أهل النار «حتى يخرج مما قال، وليس بخارج»، والله الموعد، والله الموعد، هذا لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فلذلك أحبتي في الله؛ لا بدّ لنا أن نتأمّل الثمرة التي نسعى إليها، فنقول: لا بدّ أن نعي أنّ الله عَزَّوَجَلَّ أمرنا باللقاء، وأمرنا بأن نكون متحدين، وأن نكون مؤتلفين، لا أن نكون متفرقين، ولا أن نكون متشرذمين، ولا أن نكون أصحاب أهواء، ولا يكون هذا إلا بالاجتماع على الكتاب والسنّة، فالاجتماع مكانًا وزمانًا كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا

(١) رواه أبو داود (٣٥٩٧)، وصححه شيخنا -رحمه الله-.

نَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥]، إذن هذه المشاقّة لمنهج النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ومنهج المؤمنين، فالاجتماع على هذا السبيل؛ على سبيل الله عَزَّوَجَلَّ وهو سبيل نبينا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كما قلنا ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤]، فهي دعوة واحدة، فلم يقل إذا دعواكم، فسبيل النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هي سبيل الله -تعالى-، وسبيل المؤمنين هي سبيل النبي، وهي سبيل الله -تعالى- ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ليس بسبيل الكافرين، ولا بسبيل أصحاب الأهواء، ولا بسبيل الحسّاد ولا الحاقدين -عياذًا بالله عَزَّوَجَلَّ-، فمن أراد اللقاء فعليه أن يتفقّه بسبيل ومنهج النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومنهج المؤمنين، فهنالك الموعد، وهنالك اللقاء، وهنالك الزمان، وهنالك المكان، وكلّ من ابتعد ولو ادّعى أنه يُحب اللقاء والاجتماع، فهو الذي اختار لنفسه أن يتفرّق عن سبيله، وأن يبتعد عن سبيل المؤمنين؛ لأنه قد اختار لنفسه سبيلًا غير سبيل الحقّ والصواب.

فعلينا إذن أن ننظر إلى السبيل الصحيحة في لقاء المسلمين، وفي اجتماعهم، ولا يكون إلا على النحو الذي بيّنا.

أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجعلنا ممن يُحسنون فهم الدين على منهج سلف الأمّة، وأن نعمل بمقتضى ذلك، وأن نجتمع وأن نأتلف عليه، وأن

يفقهنا في ذلك، وأن يجعلنا من الصابرين، من المتواصين بالحق والصبر، وأسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ القبول مني ومنكم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلّم.

(٣)

مقومات

الوحدة بين المسلمين

فضيلة الشيخ الدكتور

باسم بن فيصل الجوابرة

مقومات الوحدة بين المسلمين

إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، **أمّا بعد:**

أيها الإخوة؛ عندما تلقيتُ جدول هذا الملتقى العلمي الطيب وزعته على بعض الأساتذة عندنا، فاستغرب من العنوان استغرابًا شديدًا، قال: السلفيون يدعون للوحدة، معقول! يوجد سلفي يدعو للوحدة -إي والله-، فقلت له: هذا ملتقى ليست محاضرة، ثلاثة أيام: الجمعة والسبت والأحد، ثم تكلّمنا بأنّ السلفيين هم أهل الوحدة؛ لأنهم يرجعون الناس إلى الكتاب والسنّة، وغيرهم يرجع الناس إلى أقوال وآراء الناس.

ثم أدخل في الموضوع (مقومات الوحدة الإسلامية)، ومن البداية ليست الوحدة بين السلفيين، والملتقى -أيها الإخوة- (مقومات الوحدة بين المسلمين)، فكلُّ مسلم غيور يتمنّى الوحدة، ويختلف المسلمون في كثير من القضايا، ولكنهم متّفقون جميعًا على أنّ الفرقة والاختلاف هي من أخطر ما يواجه المسلمين من تحديات، ولا شكّ أنّ الوحدة والائتلاف بين دعاة الإسلام هي أمنية عظيمة لكلِّ مسلمٍ غيور، وقد دخلت الفُرقة

والاختلاف على المسلمين من أبواب كثيرة، **أهمها:**

الاختلاف في العقائد، ومسائل الإيمان، وأوّل ما بدأ هذا الخلاف في مرتكب الكبيرة، وهل هو كافرٌ أو فاسق، وفي سبيل ذلك نشأت بدعة الخوارج، ثمّ المعتزلة، ثم بدأ الخلاف حول صفات الله عَزَّوَجَلَّ وأسمائه، ثمّ توسّع الخلاف العقدي ليشمل كثيرًا مسائل كثيرة فرّق الأمّة إلى نحل وعقائد شتّى، واختلاف العقائد يؤدي إلى اختلاف القلوب والأعمال.

الأمر الثاني الذي أدى للاختلاف: الاختلافات العمليّة، وهي اختلافات في أمور العمل في العبادات، والمعاملات، وغير ذلك، وإن كان ضرره أخف من ضرر الاختلاف في العقائد.

فمن هذه الاختلافات: التّعصُّب الذميم لأقوال الأئمة والعلماء، حيثُ نشأ التقليد الأعمى لأقوالهم ولو خالفت الكتاب والسنّة، وحُرِّم استخدام الدليل زعمًا منهم أنّ فهم الدليل قد ولّى، وحُرِّم على الناس العمل إلا بأقوال الأئمة، وخصوصًا الأئمة الأربعة، ولهذا فالدعوة السلفيّة تدعو إلى الوحدة؛ لأنها تدعو إلى الرجوع إلى كتاب الله وإلى سنّة رسول الله ﷺ بفهم خير القرون، تدعو إلى النبع الصافي الذي لم يشبه أي شيء، وقبل أن أخوض -أيضًا- في غمار هذه المحاضرة أنبه على أمور، **منها:**

١- ديننا يحضُّ على الجماعة ويُحذّر من الفرقة، وقد ذكر الإخوة

الفضلاء قبلي الآيات في ذلك، آيات كثيرة جدًا، أنا -أيضًا- أختصرها لا أريد أن أذكرها جميعها: قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٢-١٠٣]، وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الأنعام:١٥٩]، والتفرُّق -أيها الإخوة- من صفات الكافرين: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ [الروم:٣١-٣٢]، ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾ [هود:١١٨-١١٩]، فأخبر أنّ أهل الرحمة لا يختلفون، ولهذا ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن الحق فجعله واحدًا، وجعل الباطل متعددًا كما في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام:١٥٣]، يقول الإمام ابن تيمية -رحمة الله عليه-: «وهذا الأصل العظيم هو الاعتصام بحبل الله جميعًا، وأن لا نتفرّق، وهو من أعظم الأصول، ومما عظمت به السنّة، وعظمت به وصيّة النبي ﷺ في مواطن عامّة وخاصّة، مثل قوله ﷺ: «**عليكم بالجماعة وإيّاكم والفرقة**»[(١)]، وقوله ﷺ: «يد الله على الجماعة»[(٢)]، وقال ﷺ -محذرًا أمته الافتراق: «**افترقت اليهود على إحدى**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة»، فقال الصحابة -رضوان الله عليهم-: من هي يا رسول الله؟ قال ﷺ: «**من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي**»(١).

و-أيضًا- حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله لعلّها موعظة مودّع فأوصنا، فقال ﷺ، **أوصاهم بأربع وصايا عظيمة:**

الأولى: «**أوصيكم بتقوى الله**».

والثانية: «**والسمع والطاعة ولو تأمّر عليكم عبدٌ حبشي**».

ثمّ: «**وإنه من يعش منكم**» هذا الشاهد من الحديث، «**وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا**»، هذا الداء -داء الاختلاف-، فهل وصف لنا رسول الله ﷺ الدواء؟ نعم؛ «**فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي**»، هذا المخرج من الاختلاف -أيها الإخوة-: الرجوع إلى سنّة رسول الله ﷺ، «**فعليكم بسنتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين عضّوا عليها بالنواجذ**».

والوصيّة الرابعة مقابل السنّة، مقابل التمسُّك بالسنّة الابتعاد عن البدعة:

---

(١) سبق تخريجه.

«**وإياكم ومحدثات الأمور**» إلى آخر الحديث، وأيضًا يقول ﷺ: «**إنّ الله يرضى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا؛ فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا**» هذا الشاهد، «ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[(١)].

أمّا أهم مقومات الوحدة الإسلاميّة:

أولًا: الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ، والتجرد من الهوى، والإخلاص -كما هو معروف- شرط لقبول الأعمال، وهو من أهم الشروط، هناك شرطان: الإخلاص والمتابعة، لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠]، فالواجب على كلِّ العلماء والدعاة التجرُّد من الهوى، وأن لا يكون دافعهم إلى ذلك حبُّ الظهور والغلبة، والانتصار للنفس لقوله ﷺ: «**من طلب العلم ليُجاري به العلماء، أو ليُماري به السفهاء، أو يصرف وجوه الناس إليه أدخله الله النار**»[(٢)]، ومن علامات الإخلاص -أيها الإخوة-:

تمني الصواب للمخالف، أن نتمنَّى الصواب للمخالف، فقد ذكر عن حاتمٍ الأصم[(٣)] أنه قال: «**معي ثلاث خصال أظهر بها على خصمي: أفرح إذا**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) «سنن الترمذي» (٢٦٥٤).

(٣) «حلية الأولياء» (٨/ ٨٠)».

أصاب خصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ نفسي أن لا أجهل عليه».

وقد نقل عن الإمام الشافعي -رحمة الله عليه- أنه قال: «**ما ناظرت أحدًا إلا قلتُ: اللهمّ أجرِ الحقّ على قلبه ولسانه، فإن كان الحقُّ معي اتبعني، وإن كان الحقّ معه اتّبعته**»(١).

ومن علامات الإخلاص -أيضًا-: أن لا يتصيّد لزلات أخيه المسلم أو المؤمن، يقول الإمام ابن القيّم الجوزيّة -رحمة الله عليه- عن المؤمن: « **يتوجّع لعثرة أخيه المؤمن إذا عثر؛ حتى كأنه هو الذي عثر بها، ولا يشمت به**»(٢).

ثانيًا: من مقومات الوحدة الإسلاميّة: ردُّ الأمر عند الاختلاف إلى كتاب الله، وسنّة رسول الله ﷺ بفهم خير القرون، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء:٥٩]، والآيات في ذلك كثيرة جدًا.

ثالثًا: التزام الحوار بالتي هي أحسن، وبالحكمة، والبعد عن المراء والخصومة، التعامل مع المخالف يقتضي نوعًا من ضبط الأعصاب، وضبط النفس، وهو ما عبّر عنه ﷺ بقوله: «**إنما الشديد الذي يملك نفسه عند**

---

(١) «المدخل إلى السنن الكبرى» (١٧٢).

(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٤٣٥).

الغضب»، والهدوء في الحوار يستميل الطرف الآخر، ويُهيئه لقبول ما يُعرض عليه، وضيق الأفق يجعل المرء يحصر الحق فيمن عنده وغيره على الباطل، وكثيرًا ما نسمع في مسائل خلافيّة اختلف فيها السلف، -المسائل أقصد العمليّة- اختلف فيها السلف، فيقول أحدهم: هذا هو الحق الذي نعتقده، ولا حقَّ سواه، أو يقول: هذا هو القول الصواب، والفهم السليم، وما عداه ضلال مبين. فهذا لا يجوز! المسألة مختلف فيها، أئمتنا اختلفوا فيها، ثم أقول: وهذا هو الصواب وغيره الضلال المبين، فكأنّ الحق عنده فقط، وغيره على باطل.

فنحن -أيها الإخوة- مع أهل الكتاب؛ أرشدنا الله عَزَّوَجَلَّ إلى محاورتهم ومجادلتهم بالتي هي أحسن، قال -تعالى-: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥].

بل إنّك لتعجبُ حين ترى الفرق الشاسع بين واقعنا، وبين أدب القرآن العظيم وهو يتنزّل مسترعيًا سمع الخصم لمحاورة المحاور، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [سبأ:٢٤-٢٥]، انظر؛ هنا ﴿قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ﴾

المفروض عملنا هذا تنزُّل مع المحاور، أي يقول: نحن أو أنتم أحدنا مخطئ، والآخر مصيب، فتعالوا حتى نبحث أو نرى أين الحقيقة فنتبعها، كلُّ هذا بعيدٌ عن الشدّة، والعبارات الجارحة، والأساليب المنفّرة؛ بل إنّ الغلظة مع المخالفين والقسوة عليهم من صفات أهل البدع، والخوارج، والمعتزلة، والروافض، بعكس أهل السنّة؛ الذين يعرفون الحق ويرحمون الخلق كما قال الإمام ابن تيمية -رحمة الله عليه-.

ومن الحكمة عند الحوار: عدم تسفيه المخالف في الرأي، أو تجهيله، أو التهكم به، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ [فصلت:٣٤]، وكذلك ترك المراء لقوله ﷺ: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنّة لمن ترك المراء وإن كان محقًا»[(١)]، فهذا الحديث يفيد حتى لو أنه على حق فليترك المراء.

رابعًا: لا بدّ من التفريق بين مواضع الإجماع، ومواضع الخلاف، والتفريق من جانب آخر بين مواطن الخلاف السائغ وبين مواطن الخلاف الذي لا يسوغ ولا يجوز.

أمّا مواطن الإجماع فقد أصبح الالتزام به معلومًا من الدين بالضرورة، يقول الإمام ابن تيمية -رحمة الله عليه-: «نعم؛ من خالف الكتاب

---

(١) «سنن أبي داود» (٤٨٠٠)، وحسنه شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المستبين، أو السنّة المستفيضة، أو ما أجمع عليه سلف الأمّة يعامل بما يُعامل به أهل البدع».

خامسًا: العدل والإنصاف، لقد أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ بالعدل والإنصاف حتى مع الكافر؛ فقد جاء الإسلام ليُقيم الحق والعدل بين الناس جميعًا، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد:٢٥]، والمسلمون هم أهل الميزان الذي تنضبط به العدالة؛ بتحقيق الإنصاف الذي تقوم على أساسه الحياة، العدل في القول: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام:١٥٢]، العدل في الحكم: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء:٥٨]، العدل مع النفس والأقارب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء:١٣٥]، العدل والإنصاف مع غير المسلمين ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٨]، قال الإمام ابن تيمية -رحمة الله عليه-: «فنهى أن يحمل المؤمنين بُغضُهم للكافرين على أن لا يعدلوا؛ فكيف إذا كان البغض لفاسقٍ، أو مبتدع متأولٍ من أهل الإيمان، فهو أولى أن يجب عليه أن لا يحمله ذلك على أن لا يعدل على مؤمن ظالم له».

ومن الإنصاف -أيضًا- أن نعتقد أنّ العالِم مهما كان متّبعًا ومحقًّا لا يخلو من زلّة، أو هفوة، وينبغي على المنصفين عدم الانتقاص من منزلة

صاحب الزلّة بسبب زلّته، وعدم اتباعه فيما زلّ مهما كان عذره، يقول الإمام ابن القيّم -رحمة الله عليه-[١]: «من له علمٌ بالشرع والواقع يعلم قطعًا أنّ الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدمٌ صالح، وآثارٌ حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلّة، وهو فيها معذور؛ بل مأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يتّبع فيها، ولا يجوز أن تُهدر مكانته، وإمامته، ومنزلته من قلوب المسلمين».

ومن الإنصاف -أيضًا-: التفصيل بين طوائف المخالفين المتّبعة بحسب قربها من الحق، وذكر ما في بعض صفاتهم الحسنة، وهذا ليس من الموازنات، فأنا لا أؤمن بالموازنات -أيضًا-، لكن عندما نكون في موضع التحذير نذكر المساوئ؛ لأنه يكون هذا موضع تحذير، ولكن عندما يكون موضع تعليم فلا بد أن تذكر مساوئ هذا ومحاسنه -أيضًا-، ولهذا يقول الإمام ابن تيمية -رحمة الله عليه-: «والرافضة فيهم من هو متعبِّدٌ متورّع زاهد، لكن ليسوا في ذلك مثل غيرهم من أهل الأهواء، فالمعتزلة أعقل منهم، وأعلم، وأدين، والكذب والفجور فيهم أقل منهم من الرافضة، والزيديّة خير منهم وأقرب إلى الصدق، والعدل والعلم، وليس في أهل الأهواء أصدق ولا أعبد من الخوارج، ومع هذا فأهل السنّة يستعملون

---

(١) «إعلام الموقعين» (٣/ ٢٢٠).

معهم العدل، والإنصاف، ولا يظلمونهم؛ فإنّ الظلم حرام مطلقًا؛ بل أهل السنّة لكل طائفة من هؤلاء خير من بعضهم لبعض، بل هم للرافضة خير وأعدل من بعض الرافضة لبعض»[(١)]، وقد يجتمع في الشخص الواحد إيمانٌ، ونفاق، وبعض شُعب الكفر، وتجتمع فيه السنّة والبدعة، وقد يكون الرجل مؤمنًا ولكنه يرتكب خصلة من خصال النفاق، أو يعمل عملًا كفريًّا لا يخرجه من الملّة، وقد يكون ملتزمًا بالسنّة، ولكن مع ذلك يفعل بعض البدع، فما موقف السلفيّين من هؤلاء؟

يقول الإمام ابن تيمية -رحمة الله عليه-: «إذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وفجور وطاعة ومعصية، وسنّة وبدعة استحقّ من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحقّ من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر؛ فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا»[(٢)].

بعض الخواطر:

أولًا: هل الدعوة للمؤمنين تشمل العصاة، وأهل الضلال، والاثنتين وسبعين فرقة، يقول الإمام ابن تيمية -رحمة الله عليه-: «إذا قال المؤمن:

---

(١) «منهاج السنّة» (٥/ ١٥٧).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٠٩).

ربّنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان» ما نقرأها في سورة الحشر، يقول ابن تيمية: «يُقصد به كل من سبقه من قرون الأمّة، وإن كان قد أخطأ في تأويلٍ تأوّله فخالف السنّة، أو أذنب ذنبًا، فإنه من إخوانه الذين سبقوه في الإيمان، فيدخل في العموم، وإن كان من الاثنتين وسبعين فرقة، فإنه ما من فرقة إلا فيها خلقٌ كثير ليسوا كفّارًا؛ بل مؤمنين، فيهم ضلال وذنب يستحقون به الوعيد كما يستحقه عصاة المؤمنين، والنبي ﷺ لم يُخرجهم من الإسلام، بل جعلهم من أمّته، ولم يقل أنهم مخلّدون في النار، فإنّ كثيرًا من المنتسبين إلى السنّة فيهم بدعة من جنس بدعة الرافضة والخوارج»[(١)].

ثانيًا: هل الفرق كافرة، خارجة من الإسلام؟

نقول: الخوارج هم من هذه الفرق، ويقول ﷺ فيهم: «**يخرجون من الإسلام كما يخرج السهم من الرميّة**»[(٢)]، فهل هم كفّار يخرجون من ملّة محمد ﷺ؟ اسمع إلى ابن تيمية -رحمة الله عليه- يقول: «**ومما يدلُّ على أنّ الصحابة لم يُكفِّروا الخوارج أنهم كانوا يُصلون خلفهم، وكان عبدالله بن عمر وغيره من الصحابة -رضوان الله عليهم- يُصلون خلف نجدة الحروري، وكانوا -أيضًا- يُحدثونهم ويفتونهم**...» إلى أن قال: «ومع هذا

---

(١) «منهاج السنة» (٥٤١).

(٢) رواه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤).

فالصحابة والتابعون لهم بإحسان لم يُكفروهم، ولا جعلوهم مرتدين، ولا اعتدوا عليهم بقولٍ ولا فعل؛ بل اتقوا الله فيهم، وساروا فيهم السيرة العادلة، وهكذا سائر فرق أهل البدع والأهواء من الشيعة، والمعتزلة، وغيرهم، فمن كفّر الاثنتين وسبعين فرقة كلّهم فقد خالف الكتاب، والسنّة، وإجماع الصحابة، والتابعين لهم بإحسان...» إلى أن قال -رحمة الله عليه-: «وليس قوله ﷺ: «**ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنّة**» بأعظم من قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء:١٠]، وأمثال ذلك من النصوص الصريحة بدخول من فعل ذلك النار...»[(١)] إلى آخر كلامه -رحمة الله عليه-.

ثالثًا: هل مصلحة التأليف والوحدة أعظم من فعل السنن والمستحبات؟

يقول الإمام ابن تيمية -أيضًا- رحمة الله عليه-: «تعلمون أنّ من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين: تأليف القلوب، واجتماع الكلمة، وإصلاح ذات البين، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾ [الأنفال:١]، ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٣]»، وقد تكلّم الإمام ابن تيمية -رحمة الله عليه- عن البسملة، وهل هي آية من القرآن أم لا، وهل يُجهر بها أم لا، فقال: «ويُستحبُّ للرجل أن يقصد إلى

---

(١) «منهاج السنّة» (٥/ ٢٤٧).

تأليف القلوب؛ بترك هذه المستحبات؛ لأنّ مصلحة التأليف في الدين أعظم من مصلحة فعل هذا، كما ترك النبي ﷺ بناء البيت لما في إبقائه من تأليف القلوب، وكما أنكر ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إتمام الصلاة في السفر، ثمّ صلّى خلفه»، أنكر عليه ومع ذلك تابعه، ولّما سئل عن ذلك -أي ابن مسعود- سئل عن ذلك، يعني كيف تخالفه وتصلي خلفه، فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**الخلاف شر**»، ويقول -أيضًا- أي ابن تيمية: «لو كان الإمام يرى استحباب شيء، والمأمومون لا يستحبونه، فتركه لأجل الاتفاق والائتلاف كان حسنًا»، ويقول عن صلاة ركعتين قبل صلاة الجمعة -السنة القبليّة-، يقول: «رغم عدم ورودها في السنّة، وإن كان الرجل مع قومٍ يصلونها، فإن كان مطاعًا؛ إذا تركها وبيّن لهم السنّة لم يُنكروا عليه، بل عرفوا السنّة فتركها حسن»، إذا وجد ناس يستمعون له، ويأخذون بقوله، وقال لهم: هذه السنّة لم ترد، فتترك، وانظر العكس «وإن لم يكن مطاعًا إذا تركها، ورأى في صلاتها تأليفًا في قلوبهم إلى ما هو أنفع، أو دفعًا للخصام، والشر؛ لعدم التّمكُّن من بيان الحقّ لهم، وقبولهم له، ونحو ذلك، فأيضًا حسن»، أي: أن يُصليها أو لا يُصليها حسب احتمال وقوع الفتنة أو عدم وقوعها.

وأختم هذه المحاضرة بقاعدة عظيمة -أيضًا- للإمام ابن تيمية -رحمه الله عليه- عندما قال: «إنّ الاعتصام بالجماعة، والائتلاف من أصول الدين،

والفروع -ليست العقائد، انتبهوا أيضًا-، والفرع المتنازع فيه من الفروع الخفيّة، فكيف يُقدح بالأصل بحفظ الفرع» أي: نقدح بالأصل -وهو الاجتماع- بالفرع وهي ربما تكون السنن، أو الأمور التي لم تكن واجبة.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلّم.

(٤)

عقبات في
طريق الوحدة الإسلاميّة

فضيلة الشيخ

محمد الحمود النجدي

عقبات في طريق الوحدة الإسلامية

الحمد لله، نحمده، ونستعين به، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه.

بدايةً؛ أتقدّم بالشكر لإخواني في (مركز الإمام الألباني) على دعوتهم لي للمشاركة في هذا الملتقى المبارك، في هذه الأرض المباركة، وإني لأعتقد جازمًا أنّ إخواني في الله من المشايخ فيهم الغُنية والكفاية للحديث في هذا الموضوع المهم، والخطير في آن واحد، ولكن من باب الاجتماع على الخير والمعاونة، والمؤمن قوي بأخيه، «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا**»(١)، وحسبي في هذا الموضع قول الرسول ﷺ: «**بلِّغوا عنّي ولو آية**»(٢).

أيها الإخوة! إنّ هذا الدين دين الوحدة الإنسانيّة، فنبيُّنا ﷺ خاتم الأنبياء، ورسالته كانت للعالمين كافّة، لم تكن رسالته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للعرب

---

(١) رواه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥).

(٢) رواه البخاري (٣٤٦١).

دون غيرهم، بل كما قال الله -سبحانه-: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سبأ:٢٨]، وقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، وكان ﷺ لا يُفرّق بين الناس، لقوميتهم، ولا للسانهم، ولا لعرقهم، ولا لجنسهم، وإنّما تجد في أصحابه القرشيّ، والأنصاريّ، والحبشيّ، والفارسيّ، والروميّ، وغيرهم، فكانت دعوته ﷺ للجميع - لجميع بني آدم- لم يكن ﷺ يُفرّق في عرض الدعوة على قومٍ دون آخرين، فهذه الرسالة المحمديّة رسالة جامعة في أصلها، رسالة للعالمين كافّة، ينبغي أن نتذكّر هذا في دعوتنا للخلق، وأنّ الخيرَ الذي أرسل به محمد ﷺ يجب أن يعُمَّ المعمورة بقدر ما نستطيع من علمٍ، وجهدٍ، ومالٍ، ودعاء، فالرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان أحرص الناس على هداية الناس؛ حتى كاد يقتل نفسه غمًّا، وحزنًا على إدبار الناس عن الإيمان ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف:٦].

هذه مقدّمة أحببتُ أن تكون بين يدي الموضوع، وهي: (المعوقات التي تعيق الوحدة الإسلاميّة)، المعوقات في الحقيقة كثيرة، والوقت قصير، فلعلّنا نمرُّ عليها مرورًا سريعًا:

أوّل تلك المعوقات، وأخطرها، وأعظمها: هو الابتداع في دين الله، فإنّ البدع لازالت ولا تزال هي أهم ما يُفرّق بين المسلمين، وهي من أهمِّ

العوامل التي قضت على وحدة المسلمين قديمًا وحديثًا، ولا تزال هذه البدع إلى يومنا هذا -كما قلنا- العاملَ الأساس في التفريق بين المسلمين، يقول الإمام الشاطبيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثمّ استمرّ تزايد الإسلام، واستقام طريقه على مدة حياة النبي ﷺ، ومن بعد موته، وأكثر قرن الصحابة، إلى أن نبغت فيهم نوابغ الخروج عن السنّة، وأصغوا إلى البدع المضلّة»[1] يقصد الناس، فعندما أصغى الناس إلى البدع وأهلها حصل الافتراق، فلم يزل المجتمع المسلم واحدًا، متوحِّدًا، حتى بدأت البدع تُطل برؤوسها، فبدأت ببدعة الخوارج، ثمّ بدعة التشيُّع، ثمّ القدريّة وهلمّ جرًّا.

ولخطورة البدع تصدّى لها المسلمون، وعلماء المسلمين، وأئمتهم -قديمًا وحديثًا-، تارةً ببيان السنّة التي كان عليها محمد ﷺ وأصحابه، «السنّة» للطبراني، «السنّة» لابن شاهين، «السنّة» لابن منده، «السنّة» لابن أبي عاصم، وهكذا كتب بيّنت سنّة محمد ﷺ، أي: منهجه ومنهج أصحابه الذي كانوا عليه.

والوجه الآخر لمحاربة البدع: بيان انحراف هذه البدع، ومخالفتها للقرآن والسنّة وفهم سلف الأمّة، ككتاب «الرد على الزنادقة والجهميّة» للإمام أحمد، و«الرد على الزنادقة» لابن أبي حاتم، و«النقض على بشر

---

(١) «الاعتصام» (١/ ١٤- ط. ابن الجوزي).

المريسي»، و«الرد على الجهميّة» كلاهما للدارمي، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوصي بهذين الكتابين جدًا، «النقض على بشر المريسي»، و«الرد على الجهميّة»، وما أشبه ذلك من الكتب التي ألفها أهل العلم في التحذير من البدع وأهلها.

والبدع -أيها الإخوة- تتضمّن أمورًا عظيمة تطعن في الشرع:

أول ذلك أنها تطعن في كمال الشرع، والرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قد أنزل عليه في آخر ما أنزل عليه ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، فالبدع تعني أنّ الشرع لم يكمُل، وأنّ الدين بحاجة للزيادة والتتميم، فهذا أوّل مطعنٍ في الشرع.

والأمر الثاني: أنّ البدع تتضمّنُ القدح في بلاغ النبي ﷺ لهذا الدين، أنه لم يُبلّغ الرسالة تمام البلاغ، وهذا أمرٌ يُخالف القرآن، والسنّة، وإجماع الصحابة ومن بعدهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة:٦٧]، واستشهد النبي ﷺ أعظم جمعٍ في التاريخ: «**ألا هل بلّغت؟**»، قالوا: نعم، فأشار بيده إلى السماء وقال: «**اللهم فاشهد**»(١)، فالبدع تتضمّن الطعن في بلاغ الرسول ﷺ.

وأيضًا؛ البدع تتضمّن ترك السنن، فالسلف قديمًا قالوا: إذا أحييت بدعة

---

(١) رواه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩).

أُميتت سنّة، فكلُّ بدعةٍ يُقابلها إماتةُ سنّة، والإنسان كما تعلمون له جهده، وله طاقته، وله وقته، فإذا اشتغل بالبدع كان هذا على حساب الأمر المشروع، وعلى السنّة التي شرعها رسول الله ﷺ بما أوحى الله إليه، فأوّل ما يُعيق وحدة المسلمين: هي البدع، والطريق إلى الوحدة في محاربة البدع، والتخلي عنها، والتحذير منها بما سلكه علماؤنا السابقون بوجهين اثنين:

أولًا: بيان السنّة، التأصيل والتوضيح، التوضيح للسنن، ونشرها، والعمل بها في كلّ محلٍّ.

والأمر الثاني: التحذير من البدع، والردّ على المبتدعة وشبهاتهم بالحكمة والموعظة الحسنة كما أمر الله عَزَّوَجَلَّ.

المُعوِّق الثاني: وهو -أيضًا- من المعوقات الخطيرة -ولعلي أسترسل في بيانه قليلًا- ألا وهو الجهل، فإنّ الجهل كان سببًا رئيسًا في اختلاف الأمم من قبلنا، ومخالفتهم لأنبيائهم، أو اختلافهم على أنبيائهم، وإعراضهم عن كتبهم المنزلة، ومن أعظم ما يأمر به الجاهلون: الشرك، قال الله -تعالى-: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزم:٦٤-٦٦]، فالشرك أعظم الجهل، وأعظم ما يأمر به الجاهلون: الشرك بالله، وإن كان يُقدّم للأمّة اليوم على أنه تعظيمٌ للصالحين، تعظيم لأولياء

الله، توقيرٌ للعلماء، حتى من آخر ما سمعنا في تسويق الشرك ودعاء الأموات، قالوا: إنهم ينفعون بإذن الله، إذن لو أحسن أحدكم الظنّ بالحجر لنفعه، ينفعه بإذن الله، وهذا باطل عظيم، وزخرفٌ للشرك المبين نعوذ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من الضلالة بعد الهدى-، والله -تعالى- يقول عن الأقوام السابقين: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام:١١١]، وسخطهم بمعاصيهم، وبخروجهم عن سُنن أنبيائهم، وسقطوا بالجهل، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد أمرنا بمخالفة أصحاب الجحيم من المغضوب عليهم والضالين ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٦-٧] كلمات نقولها في كلّ ركعة، وسبيل المغضوب عليهم والضالين لا يخرج عن الجهل، كما قال الإمام ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنّ الجهل نوعان: عدم العلم بالحقّ النافع، وعدم العمل بمقتضاه -سبحان الله-، الجهل نوعان: عدم العلم بالحقّ النافع الذي أنزله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعدم العمل بموجبه ومقتضاه، فكلاهما جهلٌ لغةً، وعُرفًا، وشرعًا، وحقيقة.

والمغضوب عليهم -كما تعلمون- عرفوا الحقّ فعملوا بخلافه، والضالون جهلوا الحقّ فعملوا بخلافه؛ ولهذا كان الصراط المستقيم مخالفًا سبيل المغضوب عليهم والضالين، وقال بعض السلف: «كلُّ من عصى الله فهو جاهل».

والجهل من أعظم أسباب الوقوع في المحرمات كلها؛ من فسقٍ، وبدعةٍ، وكفرٍ، وغيرها، وأعظم الجهل: القول على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بغير علم، أو القول في شرعه بغير علم، وقد جعله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على رأس المحرمات ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣]، فالقول على الله بغير علم أصل الشرك، وأصل الظلم، وأصل البدع، وأصل المعاصي كلّها.

ومما يدخل في هذه المسألة: تقرير مسائل الدين، ومسائل الحقّ والإيمان والإسلام باعتمادٍ على غير الكتاب والسنّة، الاعتماد على مصدر سوى الكتاب والسنّة من منطق، أو فلسفة، أو هوى، أو رأي، أو عادة، أو عُرف، أو غير ذلك؛ فإنه ضلال ضلال، خروج عن الشرع، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٤٤]، وقال -سبحانه-: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة:١١١].

الجهل يتزايد في آخر الزمان، ونظرًا لتزايد الجهل يتزايد التّفرّق، ويتزايد الاختلاف، النبيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يثبت بأنّ من أشراط أن يقلّ العلم، ويظهر الجهل، يبرز، فيقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن بقبض العلماء، حتى إذا لم يبقِ عالمًا اتّخذ الناس رؤوسًا**

جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلُّوا»[(١)]، فالجهل سببٌ للتفرّق عظيم، وسببٌ للاختلاف كبير، وأكثر المسلمين اليوم منصرفون عن العلم الشرعي -إلا من رحم الله-، أكثر المسلمين اليوم يعتنون بالدنيا وعلومها، ويغفلون عن الآخرة وعلومها ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم:٦-٧].

قد ينشأ الجهل عن سوء الفهم، بل يقول الإمام ابن أبي العز الحنفي شارح «العقيدة الطحاويّة»: «بل سوء الفهم عن الله -تعالى- ورسوله ﷺ أصل كل بدعةٍ وضلالةٍ نشأت في الإسلام»[(٢)]، سوء الفهم؛ أن يكون سوء فهمه للآية سببًا لابتداعه، ثمّ خروجه عن جماعة المسلمين، ومفارقته إياهم.

ومنها -أيضًا-: الجهل بمقاصد الشرع، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ راعى مقاصد أصليّة كالحفاظ على الدين، كالحفاظ على النفس، على العقل، على العِرْض، على المال، على النسل، ربّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ راعى هذه الأمور الخمسة -أو الستّة- في كتابه وفي سنّة رسوله ﷺ، فالجهل بمقاصد الشرع يوقع الإنسان بشرٍّ عظيم، كذا الجهل بالأدوات التي يُفهم بها الإسلام؛ كالجهل

---

(١) رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

(٢) (ص ٣٩٦).

باللغة العربيّة، وتراكيب العرب، ولسانهم؛ فإنه يوقع الإنسان في الجهل، ومن ثمّ المخالفة.

الجهل بالحديث الصحيح من الضعيف، عدم التفريق بين الحديث الصحيح وبين الحديث الضعيف، هذا جهل، وهناك ما هو أجهل من هذا، جهل مركّب: أن يُضعّف الإنسان حديثًا صحيحًا، ربما كان في «الصحيحين»، كما تجرّأ بعض المبتدعة -قديمًا وحديثًا- على الطعن في أحاديث «الصحيحين»، التي تلقّتها الأمّة بالقبول، وفي المقابل يُصحّح حديثًا ضعيفًا لنصرة دعوته، أو مذهبه، أو بدعته، فهذا سببٌ للافتراق.

الجهل -أيها الإخوة- بمراتب أهل العلم، وفضلهم، وجهادهم، وبذلهم الغالي والنفيس في سبيل دعوتهم، وتشويه صورتهم أمام الناس، والطعن فيهم، وتقليل الثقة بهم، هذا كلّه من عوامل التفرُّق، وسببه الجهل بمراتب هؤلاء الأولياء، وهؤلاء المتّقين، الذين هم سادات المتقين في الحقيقة.

الجهل بمسائل الإيمان والإسلام، وهذه فتنة حصلت قريبًا، الجهل بأحكامها، وبفروعها، وبما يُعذر به المسلم لجهله وما لا يُعْذَر به، وهذا سببٌ -كما قلنا-، هذا الأمر أوجد لبسًا عند كثير من الكتّاب، وكثير من الخطباء، وكثير من الدعاة، بأن كفّر بعض المسلمين وأخرجهم من

الإسلام، وربّما حصل وربما وصفهم بالوثنيّة أو بالشرك، وهم ليسوا كذلك، مما أشاع نوعًا من الفوضى، بل أدّى بعض الأحيان إلى إراقة دماء، وإلى استحلال الفروج، كما اشتهر عن بعض جماعات التكفير أنها كانت تأتي إلى المرأة وتقول: إنّ زوجك كافر، وأنت لست على ذمته ولا في عصمته، فيزوجونها من يشاءون من أهل جماعتهم، وهذا سببه الجهل العظيم بمسائل الإيمان والكفر، مما جعلهم يستبيحون الدماء والفروج والأموال، ولعلي أقف عند هذه المسألة قليلًا، وأقول: إنهم قد جهلوا قواعد شرعيّة عظيمة في هذا الباب، وليس المجال مجال التفصيل فيه، **لكن أشير إليها إشارةً:**

أولًا: بأنّ التكفير حكم شرعي، إذ لا يجوز أن يُحكم على أحد بالكفر وهو ليس كذلك؛ لأنّ الأمر ليس لنا، ولا للعلماء، إنّما الأمر لله -تعالى- ولرسوله ﷺ، فالجهل حكم شرعي، وأهل السنّة والجماعة لا يُكفّرون من خالفهم لمجرد المخالفة، لمجرد أنه خالفني أكفره! هذا ليس عند أهل السنّة، وإنّما عند خصوم أهل السنّة، فإنّ خصوم أهل السنّة يُكفّرونهم.

والأمر الثاني: جهلهم باختلاف الزمان والمكان واعتبار ذلك، فإنّ اختلاف الزمان والمكان وتباعد الناس من العلم وأهله، أو تقاربهم، وبعدهم عن هدي النبي ﷺ وميراث النبوّة، هذا أمرٌ مؤثر في الحكم، ولهذا

لم يكن شيخ الإسلام -رحمة الله عليه- يُكفّر من يدعو الأموات والصالحين في عصره أحيانًا لجهلهم، كان يعذرهم، كما صرّح بذلك في «الرد على البكري» وغيره، كان يعذر كثيرًا ممن يدعو الصالحين بجهله.

القاعدة الثالثة عن أهل السنّة: التفريق بين الإطلاق والتعيين، وهذه مسألة غابت عن المكفّرة، الذين فرقوا المسلمين، وأضاعوا الدين، واستحلوا الدماء، لا يفرّقون بين الإطلاق والتعيين؛ هناك فرق بين قول العلماء: من قال كذا فهو كافر، من فعل كذا فهو كافر، وبين أن نقول: فلان بن فلان كافر، هناك فرق بين الإطلاق والتعيين؛ فقد يكون الفعل مكفّرًا والقول مكفّرًا، لكن ليس كل من ارتكبه يكون كافرًا، حتى تقوم عليه الحجّة، وتتّضح له المحجّة، وتنتفي عنه الموانع من الجهل، والتأويل، والخطأ، والنسيان، والإكراه، هذه موانع تمنع من تكفير الشخص، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وليس لأحدٍ أن يُكفّر أحدًا من المسلمين إن أخطأ وغلط حتى تُقام عليه الحجّة، وتُبيّن له المحجّة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يُزل ذلك عنه بالشكّ، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجّة وإزالة الشبهة»[(١)].

التفريق -أيضًا- يا إخوة، -وهذه مسألة هامّة- بين إنسان قصده الحقّ،

(١) «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٤٦٦).

ونيّته صالحة، وبين إنسان معاند، مكابر، لا يُريد الحقّ، فأهل السنّة -عباد الله- أهل عدلٍ، وأهلُ حقٍّ، وأهل رحمةٍ، وأهل حكمة، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أهل السنّة أعرف الناس بالحقّ، وأرحمهم بالخلق»(١).

ثالثًا: من معوقات الوحدة الإسلاميّة: اتباع الأهواء، فالهوى داءٌ خطير -عباد الله- أعاذنا الله وإياكم منه، بل هو أخطر من الجهل؛ لأنّ الجهلَ دواؤه العلم، ولكنّ الهوى يحتاج إلى جهادٍ، وإلى مدافعة، واتباع الهوى يُعتبر سببًا في نشأة كثير من فرق الضلال، وجماعات السوء والانحراف؛ لأنّ أصحاب هذه الجماعات قدّموا أهواءهم على الكتاب والسنّة -أولًا-، لا يغرّنّك احتجاج أهل الأهواء بالآيات والأحاديث؛ لأنّهم قدّموا أهواءهم على الكتاب والسنّة، ثمّ نظروا ما يُوافقهم من الكتاب والسنّة فاحتجوا به، فحرّفوا الآيات وَالأحاديث، وغيّروا وبدّلوا من أجل أن يوافق ذلك هواهم، فالاعتماد عندهم أولًا على الهوى لا على النصّ والدليل.

والهوى داءٌ خطير -كما قلنا- كان في الأمم قبلنا، والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حذّر منه، ربُّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول لأهل الكتاب: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة:٨٧]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِن

(١) «منهاج السنة النبوية» (٥/ ١٥٨).

يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم:٢٣] مع مجيء الهدى إلا أنهم كانوا يتبعون الظن، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [القصص:٥٠]، بل أعظم من هذا من استمرأ اتباع الهوى فجعله إلهًا من دون الله ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية:٢٣].

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ طهّر وزكّى نبيّه عن الهوى، وشرعه كذلك عن الرأي، فقال: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النحم:١-٤]، ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ يعني: أنه ﷺ راشد، تابع للحقّ ليس بضال، ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ ليس بغاوٍ، يعرف الحق ويتركه عمدًا، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ من قبل نفسه، وهو رسول ربّ العالمين ﷺ، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾، ونهى الله -تعالى- عن اتباع الأهواء ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [االنساء:١٣٥]، وقال لداود عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [ص:٢٦].

الهوى -أيها الإخوة- أساس كلِّ شر، ومعتمد كل بدعة وفُرقة واختلاف، ولهذا فهو أشدُّ وطأةً من الجهل، فإنه يحتاج إلى الجهاد العظيم، والنبيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول: «**ثلاثٌ مُهلكات: هوىً متّبع، وشُحٌّ مطاع،**

وإعجاب كلّ ذي رأي برأيه -أو إعجاب المرء بنفسه-»[(١)]، ويقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إنّ مما أخشى عليكم بعدي بطونكم، وفروجكم، ومضلات الأهواء**»[(٢)]، فهو بابٌ خطير، ولجت منه الفتن، وكم فرّقت بين المسلمين -نعوذ بالله وإياكم منه-.

رابعًا: التقليد والتعصُّب، والتقليد -كما تعلمون-: اتباع أقوال الغير بدون دليل ولا حجّة.

والتّعصُّب: تحكيم تلك الآراء في النفس وفي الغير، والتحاكم إليها، وجعلها المعوَّل عند الاختلاف، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حكى التقليد والتعصُّب عن الجاهليّة ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٧٠]، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب:٦٦] يتحسرون على طاعة الله، وطاعة الرسول، ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب:٦٧] ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [التوبة:٣١]، وقرأ هذه الآية النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على عدي بن حاتم

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (١٨٠٢).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنّة» (رقم ١٤).

قبل أن يُسلم، فقال: ما عبدوهم! فقال ﷺ: «**ألم يُحلّوا لهم ما حرّم الله فيستحلّونه، ويُحرّموا عليهم ما أحلّ الله فيُحرّمونه**»؟ قال: بلى، قال: «**فتلك عبادتهم**»[(١)]، هذه العبادة؛ أن تُحلّ ما حرّم الله وتعتقد حليّته بعد أن عرفت حرمته، والعكس كذلك، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُحذّر عباده فيقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]، فالغلو في المتبوعين من مشايخ ومن كبراء، وتقديم أقوالهم على النصوص الشرعيّة سببٌ عظيم للفُرقة، وكم حصلت من فتن، بل إلى تشاحن، وعداوة، وتباغض، وقتال -أحيانًا- بين أصحاب المذاهب.

يقول أحد هؤلاء المتعصّبة المقلّدة، يقول: «لو كان لي من الأمر شيء لفرضت الجزية على الشافعيّة».

ويقول أحدهم: «لا يجوز لحنفي أن يتزوّج شافعيّة»، ثمّ تنزل وقال: يجوز باعتبارها من أهل الكتاب[(٢)]، هذه الأقوال المفرقة للأمّة، المشتتة للجمع، والكلمة لا شكّ أنها تخالف الشرع والدين والإيمان.

وأيضًا -يا إخوة- ما هو أقل من ذلك التعصّب للقوميّات، التعصّب

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٩٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٩٢)، والبيهقي في «الكبرى» (٢٠٣٥٠)، وحسنه شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) حكى نحوه وردَّه في «البحر الرائق» (٣/ ١١٠).

للقبائل، التعصُّب للعشائر، التعصُّب للبلدان، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، والرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما كان يُفرّق بين صغير وكبير، ولا غني وفقير، ولا أبيض ولا أسود، ولا عربي ولا عجمي، ويقول لأصحابه ﷺ: «**كلكم بنو آدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى**»(١)، ولمّا حصل شيء من الفخر بين المهاجرين والأنصار، مع أنه حصل من غلامين، فضرب أحدهما الآخر، فقال المهاجر: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار، فقال ﷺ: «**دعوها فإنّها منتنة**»(٢)، مع أنهم انتسبوا إلى أسماء شرعيّة، لكن لا يعقد عليها الولاء والبراء.

ويقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ثلاث في أمتي من أمور الجاهليّة لا يتركونهنّ: الفخر بالأحساب، والطعن بالأنساب، والنياحة**»(٣)، هذه من أمور الجاهليّة.

وأبو ذر حصل بينه وبين أحد الصحابة شيء، فعيَّره بأمّه، قال له: يا ابن السوداء -كما في بعض الروايات-، فقال ﷺ: «**أعيَّرته بأمّه؟! إنّك امرؤٌ فيك**

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنّة» (رقم ١٤)، السلسلة الصحيحة (٢٧٠٠).

(٢) رواه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤).

(٣) «صحيح الجامع» (٣٠٥٥).

جاهليّة»[١].

فهذه من الجاهليّة التي يجب أن تُحارب، ويجب أن تُنبذ، وأن لا يُلتفت إليها، فمقياس التفضيل: تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أخيرًا عباد الله: المعاصي كلّها تفرّق المسلمين، المعصية سبب عظيم للتفريق بين المسلمين، بل يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في حديثٍ صحيح: «**ما تحابّ اثنان في الله ففرِّق بينهما إلا بذنبٍ يُحدثه أحدهما**»[٢]، سبحان الله! ما تحاب اثنان في الله فحصلت فُرقة إلا بسبب ذنبٍ يُحدثه أحدهما، ولو باع مسلمٌ على بيع أخيه لحصل في نفسه شيء، لو اشتريت من أخيك شيئًا فوجدت أنه قد غشّك فيه لأبغضته، وحصلت فُرقة، هذه أبسط الأشياء وأقل الأشياء، فالمعاصي كلُّها يجب أن تُحارب لتحصل وحدة المسلمين، وليعود المسلمون إخوانًا متحابّين كما أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما سمعنا من الحقّ، إنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سميع مُجيب، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه، والحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) رواه البخاري (٣٠).

(٢) «صحيح الجامع» (٥٥٩٤).

(٥)

أساليب أعداء الإسلام

في

تفريق كلمة المسلمين

فضيلة الشيخ الدكتور

محمد بن موسى آل نصر

أساليب أعداء الإسلام في تفريق كلمة المسلمين

إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

كما تعلمون -أيها الإخوة- إنّ موضوع هذه المحاضرة وعنوانها: «أساليب أعداء الإسلام في تفريق كلمة المسلمين»، وإن كان قد أخبر النبي ﷺ أنّ في هذه الأمّة من ينتمي إليها في الاسم، ولكنه في الحقيقة أشدُّ نكاية بها من أعدائها الكافرين، كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ محذرًا من دعاة على أبواب جهنّم، من أطاعهم قذفوه في النار، وللفرق المنتمية للإسلام دور في بث بذور الفرقة بين المسلمين، وتفتيت وحدة المسلمين، لكن موضوعي في أساليب أعداء الإسلام في تفريق كلمة المسلمين.

ينبغي أن نعلم -أيها الإخوة- أنّ أعداء الإسلام هم أعداء الإسلام، لا يمكن أن يكونوا يومًا من الأيام محبين للإسلام والمسلمين، وقد بيّن ربُّنا عَزَّوَجَلَّ في كتابه هذه الحقيقة، ونبيُّنا ﷺ في سنته، والتاريخ يشهد على عداوة هؤلاء الكافرين للإسلام، وأنهم لا يتمنّون له الخير، ولا لأهله، قال الله -

تعالى-: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائد:٨٢]، وقال -تعالى-: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء:٨٩]، وقال -سبحانه-: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠]، والخطاب للنبي ﷺ، وهو في الحقيقة خطاب لأمته في شخص النبي ﷺ، وقال -تعالى-: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ﴾ [البقرة:٢١٧]، ومعلومٌ أنّ النبيّ ﷺ لم يسلم من مكايد اليهود، فإنهم حاولوا قتله ثلاث مرات: مرّة حينما أرادوا أن يلقوا على رأسه حجرًا، ومرةً حينما وضعوا له السم في ذراع الشاة، ومرّة حينما سحروه، وهكذا...

فأعداء الإسلام أربعة أصناف:

١- اليهود وما يقومون به من تشكيكٍ، ومن إنشاء لفرق هدّامة تدعي الإسلام وما هي من الإسلام في شيء، أنشأها اليهود لضرب الإسلام من الداخل.

٢- والتنصير الذي يقوده الصليبيون الحاقدون، وما يشنون على أمّة الإسلام من حملات يُسمونها تبشيريّة، وإنما هي تنصيريّة، تركوا عُبّاد البقر، تركوا الوثنيين، تركوا الملحدين، ولا همَّ لهم إلا صرف المسلمين عن دينهم، فهُم يسعَون جاهدين أن يخرجوا المسلم من دينه، أن يبعدوه عن دينه ولو لم يدخل في دينهم.

٣- كذلك الاستشراق، ثمّ التغريب، ثمّ إحياء الحركات والدعوات القديمة، كالفرعونيّة، والفنيقيّة، واليونانيّة، والفارسيّة، وغير ذلك، وسنتكلّم عن أساليب كل من هؤلاء على حدة.

فأولًا: التنصير، وهو ما يُسمّى في الاصطلاح الحديث بـ(التبشير)، وهو نشر النصرانيّة ومحاربة الإسلام بين المسلمين، بالدعوة إلى النصرانيّة أولًا، فإن لم تُقبل فبالدعوة إلى إخراج المسلمين من الإسلام وإبقائهم بلا دين، فالهدف الأول هو أن يُسلخ المسلم عن دينه، وأن يخرج من دينه خروج الحيّة من قشرها ومن ثوبها، فإن لم يستطيعوا فيتركوه بلا دين، يكون ضائعًا بلا شخصيّة، وبلا هويّة، لا يُحلّل ولا يُحرِّم، يقبل ما يُملى عليه من الخارج، ولا يرى فيهم إلا مثلًا أعلى، وأنموذجًا يُحتذى، فيفعل ما يُحبُّون، يتحرّك بإشارتهم قبل عبارتهم، وهذا التنصير وهذه الحملات تكثر في الدول التي يسود فيها الجهل والفقر، فهم يتحرّكون كالميكروبات، الميكروبات إنما تفتك في الأجساد المريضة، فهم يتحرّكون في البيئات التي يقلُّ فيها العلماء، ويضعف فيها التديُّن، ويضعُف فيها العلم، فيتحرّكون فيها، كمجاهيل إفريقيا، وأندونيسيا، وشرق آسيا، فهم ينشطون في الأعاجم أكثر من نشاطهم بين العرب، وإن كان -أيضًا- لم يُقصِّروا في محاولات تنصير العرب المسلمين.

ولهم أساليب متنوعة في ذلك، فمن أساليبهم:

١- إنشاء المدارس، والكليّات، ثمّ نشر أفكارهم من خلال المناهج الدراسيّة، فهم يحاولون التدخُّل في المناهج المقرّرة، والمناهج الدراسيّة، وقد سمعت وتسمعون كيف أنّ هناك دولًا عظمى تحاول أن تُملي المناهج، وتحاول أن تعبث في المناهج الدينيّة في المدارس والجامعات في البلدان الإسلاميّة، يريدون أن يتدخّلوا في ديننا، يريدون أن يحذفوا مقومات ديننا وثوابتنا، يريدون أن يحذفوا الولاء والبراء، الجهاد، القوّة في دين الإسلام، يريدون أن يفصلوا واقع هذه الأمّة عن ماضيها التليد؛ حتى تعيش بلا ماضٍ مشرق، وحتى لا يستطيع أن يكون لهم أسوة ولا قدوة، فضلًا عمّا يقومون به من تشويه لشخصيات ورموز الإسلام، وعلى رأسهم نبي الإسلام ﷺ.

كذلك ينشطون ويتحرّكون من خلال إقامة المستشفيات، والعيادات، والعلاج المجاني، وإشعار المرضى أنّ هذه الخدمات إنما هي عملًا برسالة المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، فحبة دواء يكون معها إنجيل، ويكون معها الدعوة إلى التنصير، ويستغلّون حاجات المرضى، ونكبات الأمم والشعوب، حيثما تجد نكبة تجدهم يتحرّكون، وهناك أطباء بلا حدود، تجدهم يتحرّكون ليس هدفهم إغاثة المرضى وعلاج المرضى بالدرجة الأولى كما أنّ هدفهم

تبشير وتغيير وتحويل هذا المسلم.

٢- كذلك من خلال فتح الملاجئ، ودور الرعاية الاجتماعيّة، وتوزيع الأغذية والملابس، كلّ هذا، ينظرون إلى حاجات الناس، إلى أماكن الفقر، مثل: جنوب السودان مثلًا، أماكن المجاعات، فيذهبون وينشطون - للأسف- إنّ النكبة التي حدثت فيما يُسمّى (بتسونامي) الفيضان الهائل، الذي كان آية من آيات الله، الذي حدث قبل أشهر، ارتفعت الأمواج عشرات الأمتار، ودخلت على الناس وداهمتهم على شواطئهم، وأخذت الأخضر واليابس، إلا بيوت الله بقيت ثابتة قائمة؛ لأنّ هذه الأمواج مأمورة.

أقول: إنّ أكثر الهيئات والجمعيّات الإغاثيّة كانت من هؤلاء، من الدول الكافرة، إلا النزر اليسير من الدول الإسلاميّة، فالمسلم حينما يُصاب بمصيبة أول ما ينظر بعد الله إلى إخوانه في بلدان العالم الإسلامي، فالغريق -كما يقولون- يتعلّق بقشّة، فحينما يجد هذا الغريق يدًا تحمل صليبًا، لو أنّ غريقًا مدّ له واحد صليب لأخذ به، فقد يكون المسلمون في بعض الحالات في أشدّ الحاجة إلى الإغاثة، فيدخل هؤلاء عليهم من هذا الباب.

٣- كذلك من وسائلهم إنشاء المكتبات ونشر المطبوعات، فنحن نعلم كيف أنّ المستشرقين لعبوا دورًا كبيرًا في هذا، كثيرٌ من المستشرقين حققوا كتبًا في التراث قديمة، ما حققها غيرهم، وأخرجوها للوجود، بعضهم بدافع

العلم ولا شكّ في ذلك، وبعضهم بدافع العبث ودسّ السمّ في هذه الكتب، والتعليق عليها، وإنّ كثيرًا من المخطوطات الإسلاميّة حينما جاء الاستعمار الحديث نُهبت من مكتبات المسلمين، وأصبحت حبيسة، هناك مكتبات في دول أوروبيّة ممنوع دخولها، فيها مخطوطات لم ترها الشمس، ولم يسمع بها أحد إلا من قام على سرقتها.

كما تعلمون -أيضًا- أنّ كثيرًا من الجامعات الغربيّة كثيرٌ منها يهتم بالدراسات الاستشراقيّة، بدراسة الإسلام، وهناك مشرفون على رسائل دكتوراة، بل إنني قرأت أنّ أحد الباحثين العرب أراد أن يكتب بحثًا في أمهات المؤمنين، وكان المشرف عليه دكتور يهودي، فما أجازه وما أمضى رسالته حتى طعن في أم المؤمنين عائشة، وقال فيها بما تقول به الشيعة، وما قال به المنافقون الذين ذمّهم الله عَزَّوَجَلَّ وفضحهم في كتابه.

٤- كذلك إنشاء الجمعيّات والنوادي المعنيّة بالرياضة، والحفلات، ونحوها، كلّ هذا من باب فتح باب الاختلاط، وفتح باب الاطلاع على منتجات الغرب، والتأثر بالحضارة الغربيّة؛ من أجل تمييع دين الإسلام، وإبعاد المسلمين عن دينهم، فهذه الجمعيّات وهذه النوادي معروفة، حتى هناك من النوادي يكون الاشتراك السنوي فيها بآلاف، فلا يدخل هذه النوادي إلا أناس مخصوصون من كبار الأثرياء، كبار التجّار، كبار الوجهاء،

ويكون هناك الاختلاط، وشرب الخمور، وغير ذلك من الإباحيّة، وبالتالي هؤلاء يأتون بأسرهم وأطفالهم، فيكون الفساد متعديًا لأسرهم -أيضًا-، وبما أنّ أمثال هؤلاء هم الذين يوجهون الناس، والناس تتأثّر بهم، فبفسادهم يفسد أتباعهم -أيضًا-.

أمّا الاستشراق؛ فهو الدراسات التي يقوم بها كتّاب غربيّون بالكتابة عن الإسلام، وعقيدته، وتاريخه، وحضارته، ولغته؛ لمحاولة صرف أهله عنه، فهم يدرسون الإسلام، بل بعض المستشرقين ربما يحفظ القرآن كاملًا، وبعضهم يحفظ آلاف الأحاديث، لا حبًا في العلم، ولا حبًّا في الإسلام، وإنما من أجل دس السم في الدّسم، من أجل أن يعرفوا من أي الثغرات يدخلون، من أجل التشكيك، من أجل إثارة الشبهات، ولذلك ننصح عوام المسلمين أن لا يتعرضوا للجلوس إلى المشككين، والجلوس إلى هؤلاء الضالين الذين يدعون إلى مذاهبهم، فأنا أذكر أنّ أحد العوام جاءه رجل نصراني، فقال له: الله ينسى، قال: مَعاذ الله، قال: في القرآن آية أنّ الله ينسى، فقرأ له: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا﴾ [البقرة:١٢٠]، فذهبت هذه المقولة، أصابت هذا الرجل مقتلًا، فأدخلت إليه الشبهات والشكوك، ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا﴾، أي: ننسئها، أي: نؤخرها عن وقتها، فكونه جاهل بتفسير القرآن، وجاهل بالمجادلة، ولا يعرف أساليب هؤلاء في المناظرة

والمجادلة، والدس والتشويه، فكاد الرجل أنه يُفتن عن دينه، ومثل هذا كثير.

ولهذا سيدنا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمّا بلغه أنّ صبيغًا يقول بالمتشابه، ويجلس إلى العوام، جاء به وضربه بعراجين النخل حتى أدماه، ونفاه إلى الكوفة، وأمر أن لا يُجلس إليه، وأن لا يتصل بالعامة، فمن الخطأ أن يتصدّى إنسان ضعيف، حتى قد يكون طالب علم إذا لم يكن متخصصًا بمقالات هؤلاء، وضلالات هؤلاء، فإنه لا يمكن أن يكون قويًا في مناظرتهم، مؤثرًا فيهم، وقد يُثيروا له من الشبهات والشكوك ما يجعله في حيرةٍ من أمره، فهم يكتبون عن الإسلام، وعقيدته، وتاريخه، وحضارته، ولغته، ومحاولة صرف أهله عنه، وصرفهم في المقابل إلى الحضارة الغربيّة، هم يحاولون أن يُظهروا الحضارة الغربيّة بأنها حضارة علم، وأنّ المسلمين ما تخلفوا إلا بسبب أخذهم للدين، وتمسكهم بدينهم، وأنّ التمسُّك بالدين يدعو إلى التخلُّف، ويدعو إلى الرجعيّة، ويدعو إلى الجهل، فانظروا إلى تقدّم أوروبا والعالم، وانظروا إلى حال المسلمين وجهلهم، وبالتالي قد تأثّر كثيرٌ بهذه المقولات الفاسدة، ولهم أساليب، **من هذه الأساليب:**

١- الطعن في القرآن، وأنه غير منزّل من عند الله، وإنما الرسول محمد ﷺ جمعه من القساوسة، والرهبان، والحضارات القديمة، وإثارة الشبهات

حول القراءات القرآنيّة.

٢- الطعن في رسالة النبي ﷺ، والطعن في كونه موحى إليه، ولهذا يقولون هو رجل عظيم، هو عبقري، يُسلِّمون بذلك، لكن هل هو نبي آخر الزمان؟! هل هو مبعوث للثقلين؟! هل هم مُلزمون برسالته؟! هذا لا يدينون به، بل يُثيرون الشبهات حول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومنها أنه ما كان له هم إلا تزوُّج النساء، وغير ذلك من شبهات -والعياذ بالله-.

٣- الطعن في الإسلام، وأنه من عند الله عَزَّوَجَلَّ.

٤- التشكيك في حجية الأحاديث النبويّة، وافتعال تضارب بين الأحاديث، فمثلًا يأتون بحديث موضوع فيقولون: هذا الحديث يُعارض ذاك الحديث، فقد تنطلي هذه على بعض العوام والجهلة، فالحديث الموضوع ليس من كلام رسول الله ﷺ، كما في حديث: «**خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء**»[(١)]، قالوا: كيف يقول الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ذلك وهذا يتنافى مع الحديث الآخر عن النساء «**ناقصات عقل ودين**»[(٢)]، فإذا علمنا أنّ

---

(١) «المنار المنيف» (ص٦٠)، «أسنى المطالب» (٦٠٠)، «السلسلة الضعيفة» (١١/ ٦٦٤).

(٢) رواه البخاري (٣٠٤) من حديث أبي سعيد الخدري، ومسلم (٧٩) من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

الحديث الأول باطل وأنه موضوع فسقط الاستدلال، وسقط هذا الاحتجاج، وهذه الشُّبهة.

٥- كذلك التشكيك في قيمة الفقه الإسلامي.

٦- التشكيك في قدرة اللغة العربيّة على مسايرة التطوّر العلمي.

٧- ومن أساليبهم ووساوسهم: استبدال اللغة العربيّة باللغة العاميّة، وكان هذا الاتجاه قد تبنّاه أتاتورك في تركيا؛ حيث أبدل اللغة العربيّة باللغة اللاتينيّة واللغة التركيّة، وهناك دعوات، وكتّاب، وأقلام مسمومة تكتب، ولهم صُحف ومجلات في استبدال العاميّة باللغة الفصحى، فإنهم يعلمون أنّ اللغة العربيّة هي لغة القرآن، وأنّ المسلم مادام محافظًا على هذه اللغة ويتكلّم بها فإنه يستطيع أن يفهم كتاب ربه.

٨- كذلك إثارة التشكيك في التاريخ الإسلامي، وإثارة الشبهات حوله للأسف إنّ أكثر المسلسلات، والمسرحيّات، والأفلام مأخوذة من كتابات جورجي زيدان وأمثاله، لا تؤخذ من كتابات علماء الإسلام، ومن المؤرخين الثقات كابن كثير، والذهبي، وابن جرير الطبري، إنما تؤخذ عن كتّاب إمّا مستشرقين، أو مستغربين، أو متأثرين بالاستشراق.

٩- كذلك إنشاء الجمعيّات والمراكز، كلها الغرض منها: بث هذه الأفكار، وهذه الضلالات.

١٠- ومن أساليبهم: السيطرة على المجلات والصحف، وبثها بين المسلمين، فالصحافة العالميّة نحوًا من تسعين بالمئة يمتلكها اليهود في العالم، هم الذين يوجهونها، وهم الذين يُحلّلون الأخبار، وهم الذين يرسلونها، وللأسف أنها تتلقّى كما هي، من غير تمييز، ومن غير غربلة، ومن غير تحرير، فالخبر كما يأتي من مصدره يُبث، وقد يكون فيه قلب للحقائق، وتسمية الأشياء بغير اسمها.

١١- كذلك من أساليبهم: عقد المؤتمرات تحت غطاء البحث العلمي، وإنشاء مراكز في ديار الغرب لتدريس أبناء المسلمين، فخروج وذهاب الطلاب إلى بلاد الغرب من أخطر ما يتهدّدهم، فإنهم ينزلونهم في بيوت، ومع أُسر، وهذه أُسر ليست مسلمة، ويختلطون ببناتهم، ويكون الفواحش، قد يأكلون لحم الخنزير، ويشربون الخمر، وقد يُمارسون البغاء -والعياذ بالله-، فيرجع هذا الابن ليس هو الذي ذهب، يسخر من حجاب أمّه، ويسخر من لحية أبيه، ويتقزّز من وضوء أبيه وأمه ويسخر منهما، فيرجع وقد غسلت دماغه، وأصبحت -والعياذ بالله- تفكّر على طريقة هؤلاء الكفّار أعداء الإسلام، فيرجع هذا يُمجّد القيم الغربيّة الماديّة الرأسماليّة، النصرانيّة، ويدعو لها، وهم يُعينونه ويساعدونه، يعتبرونه ابنًا لهم، يحمل رسالتهم، ويقوم بها، فسيكون وكيلًا عنهم، فلهذا يحرصون على إيصاله إلى

المراكز المرموقة.

١٢- كذلك إقناع النصارى بعدم صلاحيّة الإسلام والطعن فيه حتى لا يسلموا، الآن أهل الغرب إيش يعرفون عن الإسلام، لا يعرفون عن الإسلام بسبب حملات التضليل، إلا أنّ الإسلام دين دموي ما عنده إلا القتل والإرهاب، ومتخلّف، يُحارب العلم، ليس عنده إلا الشهوات، وغير ذلك، فلمّا هذا الغربي يُريد أن يُسلم فلا يجد مصادر معرفيّة عن الإسلام إلا ما يُزوده به هؤلاء الأعداء، ولهذا في الآونة الأخيرة -وربّ ضارّةٍ نافعة-، وإن كنّا نحن نشجب هذه الأعمال، وهذه التفجيرات التي حدثت في بلاد الغرب، جعلت آلافًا مؤلفة من الأمم الأوروبيّة تقرأ القرآن، وتطّلع على ترجمات القرآن، وتقرأ عن الإسلام، مما حدا بالكثير منهم إلى أن يُعلن إسلامه ويدخل في الإسلام، وكلٌّ شيءٍ بقدر الله عَزَّوَجَلَّ.

١٣- وكذلك من أساليبهم: إلقاء محاضرات في الجامعات، والجمعيات العلميّة.

١٤- وكذلك التشكيك والتهكُّم بالغيبيّات، والادعاء بأنها لا تثبت علميًّا.

١٥- أيضًا من أساليب أعداء الإسلام في تفريق كلمة المسلمين: نشر العلمانيّة في بلاد الإسلام، والعلمانيّة هي عزل الدين عن شؤون الحياة

جميعها، هذا معنى العلمانيّة، وهذا بدايته كان قُبيل الثورة الفرنسيّة، حينما احتدم الصراع بين الكنيسة ورجال الدين في أوروبا، بعد أن قامت محاكم التفتيش بالتنكيل بعلماء بلادهم، وبالطلاب الذين أخذوا العلم من بلاد الإسلام ورجعوا مسلمين، فأجريت لهم محاكم تفتيش، ونُكّل بهم، وذُبحوا، وقطّعوا، كانت تصنع لهم توابيت فيها الرماح، فتُطلق على الرجل أو العالم فتختلف هذه السهام في بطنه وظهره، فالعلمنة: عزل الدين عن شؤون الحياة كلّها، الشؤون السياسيّة، والاقتصادية، والأحوال الشخصيّة، فمثلًا: استطاع الغرب بعد إسقاط الخلافة الإسلاميّة أن يُعلمنوا تركيا، وأصبحت تركيا بلاد علمانيّة، لا تدين بالإسلام، فتُحارب القلنسوة، تحارب اللحية، يُحارب الحجاب، تحارب الصلاة، يُحارب الأذان، هذه هي العلمانيّة، وعوامل ظهورها بين المسلمين: كثرة البدع والأهواء، وشيوع الجهل، وقلّة العلم والفقه، الاعتقادات الفاسدة، الاحتلال الغربي، انبهار الكثيرين بالتقدّم المزعوم الذي وصل إليه الغرب، فيُصبح مفتونًا بالحضارة الغربيّة، وليتهم يأخذون من الغرب ما أحسنوا فيه، وما أبدعوا فيه من صناعات، لكنّهم يقبلون كل شيء بعجره وبجره، يقبلون المفاسد الأخلاقيّة، ويُصدّرونها إلى بلدانهم، ولهذا اشتهر العلمانيّون بالاستهانة بالدين، والتّهكُّم، والاستهزاء بالمتمسكين به، وظهور المعاصي على

سلوكهم، ومظاهرهم، وألسنتهم، وإثارة الشبهات، وإشاعة الفواحش والرذائل، ومحاربة الحشمة والفضيلة، وحبّ الفسّاق وتقريبهم، والكفّار والإعجاب بالمظاهر الغربيّة، هذه من أوصاف وسمات العلمانيين.

١٦- ومن أساليبهم -أيضًا- أعداء الإسلام؛ التغريب، والتغريب هو تسييد الحضارة الغربيّة على الحضارة الإسلاميّة، بالاعتماد على تصورات الفكر الغربي، ومقاييسه، ومحاكمة الإسلام وأحكامه بها، ولهم أساليب، منها:

أ- تنشأة أجيال جديدة تحتقر الحياة الإسلاميّة.

ب- الطعن في رموز الإسلام، وعلى رأسهم النبي ﷺ، وخلفاؤه، والصحابة، والأئمة والعلماء.

جـ- إثارة الخصومات والخلافات بين العرب والمسلمين، فالأقليّات الإسلاميّة زرعوا في قلوبهم بغض العرب، حتى صار بعضهم يقول: لو إصبعي عربي لقطعته، ويتبجّح بذلك، وما علموا أنّ بغض العرب من النفاق -العرب المسلمين-، كما نصّ على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، وأنّ العرب مادّةُ الإسلام، وأنّ قول الله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠] أول ما نزل إنّما نزل في العرب المسلمين، فهذه النعرات بين المسلمين من غير العرب والعرب قائمة يذكيها الاستعمار، ويذكيها أعداء

الإسلام.

د- نشر الإلحاد والإباحيّة، والدعاية لها، وتصديرها إلى البلدان الإسلاميّة، وتفريغ الأرواح من القيم الإسلاميّة، واستبدالها بحبّ الرياضة، والأفلام، والملابس، والأزياء، وما قضيّة ملكات الجمال التي تتنقّل من بلد إلى بلد إلا أسلوب من أساليب التغريب.

هـ- الدعوة إلى توحيد الفكر البشري، واستخدام وسائل الإعلام الحديثة كالسينما، والتلفاز، والهواتف الخلويّة، والصحافة، والإنترنت، وكلّ هذا لتنفيذ مخططاتهم، وكم محطة على الإنترنت، كم دعاية على الإنترنت لدعايات إباحيّة والعياذ بالله، إنّ ملايين الدعايات قد بثّت كما يُذكر ويُحكى على الشبكة العالميّة لإفساد البشر.

و- تقديس الحضارات الوثنيّة، كالفرعونيّة، والجاهليّة، والوثنيّة، والفارسيّة، والرومانيّة.

ز- إشاعة الرذيلة والفساد الخلقي والإباحيّة بين الشباب.

أمّا عن نشر القوميّات، والطائفيّات، وإحياء الدعوات القديمة، كالفرعونيّة في مصر، وكالفارسيّة في بلاد إيران، وكالبابليّة والآشوريّة في بلاد العراق، وكالفينيقيّة في لبنان، واليونانيّة في بلاد الشام، فحدّث ولا حرج، فهم يُريدون بهذا أن يسلخوا أمّة الإسلام من إسلامها، فلا يعتز المصري

بالإسلام، وإنما يعتز بالفرعونيّة، ولا يعتز الإيراني بالإسلام، وإنّما يعتز بالفرس، وحضارة الفرس، ولا يعتز ابن العراق بالإسلام، وإنما بحمورابي وقوانين حمورابي، وبالتالي يسلخوا المسلم عن دينه، فبدل أن يعتز وينتمي للإسلام ينسلخ من دينه وينتمي إلى هذه الحضارات البائدة، التي ذمّها الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال عَزَّوَجَلَّ في كتابه: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر:٧-١٣].

ولضيق الوقت -أيها الإخوة-، وإلا فالحديث له ذيول، والحديث ذو شجون، ويحتاج إلى مزيدٍ من البيان والإيضاح، نكتفي بهذا القدر، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يقي بلاد المسلمين شرّ الأشرار، وأن يجعلهم على مستوى التحدّيات، وأن يردهم إلى دينهم ردًّا جميلًا، وأن يعودوا إلى كتاب ربّهم وسنّة نبيهم، فإنّ هذا المنهج الرباني كفيل بصدّ عدوان الملحدين، وعدوان المنصرين، وعدوان اليهود والصهيونيين، وعدوان الملاحدة في كلّ زمان وحين.

(٦)

قواعد منهج السلف

في

تحقيق الوحدة بين المسلمين

فضيلة الشيخ

أكرم بن محمد زيادة

قواعد منهج السلف في تحقيق الوحدة بين المسلمين

أسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ابتداءً أن يُبارك لي ولكم في الوقت؛ ثمّ عنوان هذه المحاضرة «قواعد منهج السلف»، بعد أن تفضّل أصحاب الفضيلة المشايخ على مدى الأيام الثلاثة الماضية بتمهيد الأرض وتسويتها، وجعلوا لي بعد ذلك إرساء القواعد؛ لننطلق في البنيان العمليّ نحو تحقيق الوحدة الإسلاميّة في أنفسنا، في القاعدة قبل أن تكون في القمم؛ لأنّ الوحدة الإسلاميّة لا بدّ وأن تنطلق من القاعدة، فنحن بهذه القواعد التي سنذكر، سنشرع -إن شاء الله تعالى- ابتداءً من هذه الليلة في تحقيق هذه القواعد التي كان عليها سلفنا الصالح في تحقيق الوحدة الإسلاميّة في حياتنا كما كانت في حياتهم، سيّما وأنّ هذه القواعد منها ما هو علميٌّ، ومنها ما هو عمليّ، فسلفنا الصالح جعلوا لهذه القواعد أمثلةً عمليّة في حياتهم حققوا بها وحدتهم، فنحن إذا سرنا على خطاهم لا بدّ وأن نُحقّق هذه الوحدة، كما كانت في حياة سلفنا أن تكون في حياتنا بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

حقيقة القواعد كثيرة، وسأذكرها ابتداءً سردًا، ثمّ أفصّل في بعضها؛ لأنّ الوقت لن يسمح لي بتفصيلها جميعًا، فباستقراء حياة السلف وجدتُ أنّ القواعد التي قامت عليها وحدتهم، وبالمناسبة كلمة (الوحدة) في اصطلاح

السلف قليلة، إنّما جماعتهم هي المستخدمة في النصوص الشرعيّة من كتابٍ وسنّة، ومن أقوال السلف هي (جماعة المسلمين)، فهذه الجماعة التي قامت، قامت على أسس عظيمة، سأسردها كما قلت ابتداءً ثمّ أفصّل في بعضها، فوجدت أنّ أوّل هذه الأسس التي قامت عليها وحدة المسلمين في حياة السلف:

عملهم بالإجماع، ومحافظتهم على صلاة الجماعة، وعلى العبادات العمليّة التي إطارها الجماعة كالحجّ والصيام، وهذا في الأمور العمليّة.

وأمّا في العلميّة؛ فإخلاصهم، وإيثارهم، ونصيحتهم، ومما يتعلّق بمعاملاتهم: طاعتهم لأولياء أمورهم، وإصلاح ذات بينهم، والولاء والبراء فيما بينهم، وإعذار المخالف، والتماس الأعذار له، والشورى، ولزوم الجماعة، وتجنُّب الفُرقة.

وقد تكلّم إخواننا أصحاب الفضيلة فيما سبق عن المصطلحات، وخاصّة الشيخ علي -حفظه الله-، ولا بدّ أن أجعل بين يدي محاضرتي الكلام عن المصطلحات المستخدمة في هذه المحاضرة.

فالقواعد: جمع قاعدة، وهي الأسس، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذكرها في كتابه في غير ما موضع، فقال عن قواعد البيت ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البقرة:١٢٧]، ومعنى ذلك: أسس البيت، وقال في النساء: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ

﴿ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور:٦٠]، وهي جمع قاعدٍ، وفي حديث أسماء بنت يزيد أخرجه البيهقي في «الشعب»(١)، وبحشل في «تاريخ واسط»(٢) بسندٍ جيّد، قالت: يا رسول الله! إنّا معشر النساء محصوراتٍ مقصورات، قواعد بيوتكم، وحوامل أولادكم، والشاهد (قواعد).

وأمّا المنهج فهو الطريق، والسبيل، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨]، فالمنهاج هو الطريق المبين، كما قال الراجز:

من يك في شكٍّ فهذا ثلج ... ماءٌ رواءٌ وطريقٌ نهجُ

ويُستعمل في كل شيء كان بيِّنًا واضحًا يُعمل به.

وأمّا السلف فقد مضى تعريفهم في غير ما محاضرةٍ، وباختصار: هم الصحابة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

والتحقيق: هو التصديق، فلا بدّ أن نُصدّق هذه الوحدة بتحقيقها، فنقيمها على أسس الجماعة المسلمة التي كانت في زمن سلفنا الصالح.

قلنا القاعدة الأولى: الإجماع، والإجماع -أيها الإخوة- حكمٌ شرعيّ، وهو أصلٌ، بل هو المصدر الثالث من مصادر التشريع، وقد تكلّم عنه إخواننا في المحاضرات السابقة، ومن ذلك قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ

---

(١) (٨٣٦٩).

(٢) (ص٧٥).

ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾، ومضى كلام إخواننا بوجوب اتباع السلف، وإجماعُهم أعلى إجماع، فقد أجمعوا على أمور كثيرة كجمع القرآن، ثمّ نسخه، كقتالهم للمرتدين، إلى غير ذلك من الإجماعات التي كان عليها سلفنا، والتي لا ينبغي للمسلمين بعد ذلك مخالفتهم.

ومن أعظم هذه الإجماعات التي أجمع عليها سلفنا: التزام الجماعة، التزام جماعة المسلمين، وعدم الخروج عليهم، وعدم الفُرقة.

ومن أعظم ما أجمع عليه الصحابة: قتالهم للخوارج، ومفارقتهم لهم؛ ولذلك لم يكن في الخوارج، ولم يكن في القدريّة بعدهم، ولا في الرافضة، وهم كلهم نبغوا في زمن الصحابة، لم يكن في هذه الفئات الضالّة أحد من أصحاب محمد ﷺ، بل قام أصحاب محمدٍ ﷺ لمجاهدة هؤلاء بألسنتهم، وبسيوفهم، وبحججهم وببراهينهم، فأعظم إجماعٍ أجمع عليه الصحابة: منابذتهم لأهل البدع والمنكرات من الخوارج وغيرهم.

وقد جاءت النصوص كثيرة في حجيّة الإجماع، ومنها أنّ النبي ﷺ أخبر أنّ هذه الأمّة لا تجتمع على ضلالة، لا تجتمع هذه الأمّة على ضلالة، فإذا ما اجتمع الناس، إذا ما اجتمعت الأمّة فاعلم أنّ الحقَّ معهم، وأنّ الهدى معهم؛ لأنّ الله عَزَّوَجَلَّ أبى أن تجتمع أمّة محمد ﷺ على ضلالة، ولذلك إذا ما

اجتمع أهل السنّة فإنّما يجتمعون على إجماعٍ كان قبلهم، أو على كتابٍ أو سّنةٍ قبل ذلك، ولذلك لا يمكن أن يجتمعوا على ضلال، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وكان الأصل الثالث بعد كتاب الله وسنّة النبي ﷺ، الذي يجب تقديم العمل به هو الإجماع، فإنّ الله لا يجمع هذه الأمّة على ضلالة**»(١).

وقال تلميذه البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وكان محمد بن أسلم الطوسي**»، قال: «**وكان محمد بن أسلم الطوسي الإمام المتّفق على إمامته، مع رتبته، أتبع الناس للسنّة في زمانه، حتى قال: ما بلغني سنّة عن رسول الله ﷺ إلا عملت بها، ولقد حرصت على أن أطوف بالبيت راكبًا، فما مكنت من ذلك، فسئل بعض أهل العلم في زمانه عن السواد الأعظم**» تكلّم عنه الشيخ محمد الحمود النجدي بالأمس «فسُئل بعض أهل العلم في زمانه عن السواد الأعظم، الذين جاء فيهم الحديث: «**فإذا رأيتم اختلافًا فعليكم بالسواد الأعظم**»(٢)، فقال: محمد بن أسلم الطوسي هو السواد الأعظم، وصدق والله -كلام ابن القيم- فإنّ العصر إذا كان فيه عارف بالسنّة، داعٍ إليها فهو الحجّة، وهو الإجماع، وهو السواد الأعظم، وهو سبيل المؤمنين، من

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٣٦٠).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٩٥٠) وضعفه شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فارقها واتّبع سواها ولّاه الله ما تولّى، وأصلاه جهنّم وساءت مصيرًا»[(١)].

وكثير من أهل العلم عندما كانوا يُذكرون، كانوا يُذكرون على أنهم هم أهل السنّة، وأنهم كما صحّ الإسناد إلى أبي العالية؛ عندما سُئل عن الصراط المستقيم، قال: «هو أبو بكر وعمر»، قال الربيع: فقلت للحسن -أي: الحسن البصري-: يقول أبو العالية الصراط المستقيم أبو بكر وعمر، قال: «صدق أبو العالية، وبر»، وهو إسناد صحيح لأبي العالية وللحسن البصري، فإذا كان المتّبع للسنّة، المتّبع للسلف فهو بحدّ ذاته إجماعٌ، وهو بحدّ ذاته صراط مستقيم، وهو بحدّ ذاته جماعةٌ وفرقة ناجية ولو كان وحده.

من القواعد التي كانت سببًا في وحدة المسلمين وعنوانًا لهم: صلاة الجماعة، وهي فرق ما بين أهل الحقّ والباطل، فأهل البدع لا يصلون في الجماعة، ولا يصلون في المساجد، فصلاة الجماعة من عناوين وحدة الأمّة، وسبيلٌ من سُبل وحدتها، وقد سمعتُ بعض أهل البدع يستشهد بترك صلاة الجماعة بفعل بعض السلف، طبعًا وعندما نقول بعض السلف، أي: بعض المتأخرين، ولكنّ أصحاب محمدٍ ﷺ ما عرفوا مفارقة الجماعة حتى وراء الفجرة، ووراء من كانوا على معصية الله عَزَّوَجَلَّ ما تركوا صلاة الجماعة، فصلوا خلف الحجاج، وَغيره ممن خالفوا هدي النبي ﷺ، وهي فريضة

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ٧٠).

محكمة في الصحيح من أقوال أهل العلم -أي: المحافظة على صلاة الجماعة-، فعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «حافظوا على هؤلاء الصلوات الخمس حيثُ يُنادى بهن، فإنّهنّ من سنن الهدى، وإنّ الله شرع لنبيّه ﷺ سنن الهدى، ولقد رأيتنا وما يتخلّف عنها إلا منافق بيّن النفاق، ولقد رأيتنا وإنّ الرجل ليُهادى به بين الرجلين حتى يُقام في الصف، وما منكم من أحد إلا وله مسجد في بيته، ولو صلّيتم في بيوتكم وتركتم مساجدكم تركتم سنّة نبيّكم، ولو تركتم سنّة نبيكم ﷺ لكفرتم»(١)، وفي رواية: «لضللتم»(٢).

إذن؛ المحافظة على صلاة الجماعة من أعلى الأسس التي كانت تُعنون لوحدة هذه الأمّة، قال عمرو بن ميمون الأودي -وهو من تلاميذ ابن مسعود-، قال: «صحبتُ معاذًا باليمن، فما فارقته حتى واريته في التراب بالشام، ثمّ صحبت بعده أفقه الناس عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فسمعته يقول: عليكم بالجماعة؛ فإنّما يد الله على الجماعة، ثمّ سمعته يومًا من الأيام وهو يقول: سَيلَي عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فصلوا الصلاة لميقاتها، فهي الفريضة، وصلوا معهم فإنّها لكم نافلة، قال: قلت يا أصحاب

---

(١) «سنن أبي داود» (٥٥٠).

(٢) «صحيح مسلم» (٦٥٤).

محمد ما أدري ما تحدثونا، قال: وما ذاك، قلت: تأمرني بالجماعة، وتحضني عليها، ثمّ تقول: صلِّ الصلاة وحدك، وهي الفريضة، وصلِّ مع الجماعة وهي نافلة، قال: يا عمرو بن ميمون قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية، أتدري ما الجماعة، قلت: لا، قال: إنّ جمهور الجماعة الذين فارقوا الجماعة، الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك»، وفي طريق أخرى: «**فضرب على فخذي وقال: ويحك إنّ جمهور الناس فارقوا الجماعة بتأخيرهم الصلاة عن وقتها، وإنّ الجماعة ما وافق طاعة الله** عَزَّوَجَلَّ»[١].

ومع هذا؛ مع مخالفتهم لا نترك الجماعة، لا نترك صلاة الجماعة مع مخالفتهم، نُصلي معهم، ونصلي وحدنا حتى لا ندع الجماعة؛ لأنها عنوان الضلال، بل وفي الرواية السابقة: «عنوان الكفر»، قال نُعيم بن حمّاد -وهو من أجل شيوخ البخاري-، وقضى شهيدًا في سبيل الحق في السجون، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد، وإن كنت وحدك فإنّك أنت الجماعة حينئذ» ذكر هذا الأثر البيهقي[٢] وغيره.

---

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٦٠).

(٢) «الباعث» (ص٢٢) لأبي شامة.

قال أبو شامة[١] عن المبارك عن الحسن، قال: «السنّة والذي لا إله إلا هو بين الغالي والجافي، فاصبروا عليها رحمكم الله، فإنّ أهل السنّة كانوا أقلّ الناس فيما مضى، وهم أقلُّ الناس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لَقَوا ربهم، فكذلك إن شاء الله فكونوا» انتهى كلُّ هذا من «إغاثة اللهفان» (١/ ٦٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالواجب على المسلم إذا صار في مدينة من مدائن المسلمين أن يصلي معهم الجمعة والجماعة، ويوالي المؤمنين ولا يُعاديهم، وإن رأى بعضهم ضالًا، أو غاويًا وأمكن أن يهديه ويُرشده فعل ذلك، وإلا فلا يُكلّف الله نفسًا إلا وسعها، وإذا كان قادرًا على أن يولي في إمامة المسلمين الأفضل ولاه، وإن قَدِرَ أن يمنع من يُظهر البدع والفجور منعه، وإن لم يقدر على ذلك فالصلاة خلف الأعلم بكتاب الله وسنّة نبيه، الأسبق إلى طاعة الله ورسوله أفضل، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**يؤم القوم أقرأهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنّة، وإن كانوا في السنّة سواء فأقدمهم هجرة، وإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سنًا**»، وإن كان في هجره لمظهر البدعة والفجور

(١) «الباعث» (ص١٦).

مصلحة راجحة هجره، كما هجر النبي ﷺ الثلاثة الذين خُلِّفوا، حتى تاب الله عليهم، وأمّا إذا ولي غيره بغير إذنه وليس في ترك الصلاة خلفه مصلحة شرعيّة كان تفويت هذه الجمعة والجماعة جهلًا وضلالًا، وكان قد ردّ بدعةً ببدعة، حتى أنّ مُصلي الجمعة خلف الفاجر اختلف الناس في إعادته الصلاة، وكرهها أكثرهم، حتى قال أحمد(١) في رواية عبدوس عنه: «من أعادها فهو مبتدع»(٢)، حتى لو صلّيت خلف مبتدع فإعادتك بدعة، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على حرص السلف، وعلى رأسهم الإمام أحمد، وهو نموذجٌ للوحدة الإسلاميّة، على حرص الناس -أي: السلف- على هذه الوحدة، قال: «**وهذا أظهر القولين؛ لأنّ الصحابة لم يكونوا يُعيدون الصلاة إذا صلوا خلف الحجاج وغيره**»(٣).

وفي قيام رمضان -وهو نافلة-، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ أي: شيخ الإسلام، قال: «ولمّا جمعهم عمر على قارئ واحد، فقال: نعمت البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل»، والمقصود بنعمة البدعة هذه: أي المعنى اللغوي دون المعنى الاصطلاحي؛ لأنّ أصل صلاة التراويح في الجماعة، صلاة القيام في

---

(١) «صحيح مسلم» (٦٧٣).

(٢) «أصول السنة» (ص٤٤).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٨٤ فما بعد).

الجماعة أصلها سنّة نبويّة، قال: «وقيام رمضان سنّة قال ﷺ: «**إنّ الله قد فرض عليكم صيام رمضان وسننت لكم قيامه**»[١]، وكانوا على عهده ﷺ يصلُّون أوزاعًا متفرقين، يُصلي الرجل وحده، ويُصلي الرجل ومعه جماعة، وقد صلّى بهم النبي ﷺ جماعة مرّة بعد مرّة، وقال ﷺ: «**إنّ الرجل إذا صلّى مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة**»[٢]، لكن لم يُداوم على الجماعة، كالصلوات الخمس خشية أن تُفرض عليهم، فلمّا مات أمنوا الفرض فجمعهم عمر على أبي بن كعب، فصلاة الجماعة حتى في التراويح السنّة أن يجتمع عليها الناس ولا يتفرقوا، قال ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فالذي ندين الله به أنه لا يجوز لأحدٍ التّخلُّف عن الجماعة في المسجد إلا من عذرٍ، والله أعلم بالصواب**»[٣].

القاعدة الثالثة -أيها الإخوة-: أداء الأحكام العمليّة مع الأمّة، من صيامٍ، وحجٍّ، وغيره، وعدم الانفراد عنهم، فقد واظب السلف على هذه العبادات العمليّة مع الجماعة، وعدم مفارقتها، وحرص السلف والخلف من أئمتنا على هذا، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما تكلّم عن هلال رمضان: «على

---

(١) «سنن ابن ماجه» (١٣٢٨)، وضعفه شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) «سنن الترمذي» (٨٠٦) وصححه شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) «حكم تارك الصلاة» (١/ ١٦٠).

أنّ الصحيح هو مثل ذلك في ذي الحجة -أي في هلال ذي الحجة-، وحينئذٍ فشرطٌ كونه هلالًا وشهرًا شهرته بين الناس، واستهلال الناس به، حتى لو رآه عشرة، ولم يشتهر ذلك عند عامّة أهل البلد لكون شهادتهم مردودة، أو لكونهم لم يشهدوا به كان حكمهم حكم سائر المسلمين، فكما لا يقفون، ولا ينحرون، ولا يصلون العيد إلا مع المسلمين، فكذلك لا يصومون إلا مع المسلمين، وهذا معنى قوله: «**صومكم يوم تصومون، وفطركم يوم تفطرون، وأضحاكم يوم تضحُّون**»(١)، ولهذا قال أحمد في روايته: يصوم مع الإمام وجماعة المسلمين في الصحو والغيم، وقال أحمد: يد الله على الجماعة، وعلى هذا تفترق أحكام الشهر؛ هل هو شهر في حقِّ أهل البلد كلهم، أو ليس شهرًا في حقهم كلهم، يُبيِّنُ ذلك قوله -تعالى-: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ [البقرة:١٨٥]، فإنّما أمر بالصوم من شهد الشهر، والشهود لا يكون إلا لشهرٍ اشتهر بين الناس، حتى يُتصوّر شهوده والغيبة عنه، وقول النبي ﷺ: «**صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته**»(٢)، ونحو ذلك من خطاب للجماعة، لكن من كان في مكانٍ ليس فيه غيره إذا رآه صامه، ولذلك لا يصوم الإنسان إذا رأى الهلال وحده إلا إذا كان في بلدٍ وحده، وعندئذٍ يكون

---

(١) «سنن أبي داود» (٢٣٢٤)، وصححه شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) رواه البخاري (١٩٠٩)، ومسلم (١٠٨١).

هو الجماعة، فعندئذٍ يجب عليه، أمّا لو رآه وحده ولم تره أهل البلد فلا بدّ أن يصوم وأن يفطر مع أهل بلده، لا يفارقهم، ولا ينازعهم»، وذكر مثل هذا أو نحوه شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تمام المنّة»[١] في تعليقه على اختيار الشيخ سيّد سابق رَحِمَهُ ٱللَّهُ (وجوب لزوم أهل البلد الرؤيا وما يتصل بها)، كما ذكر في «فقه السنّة»، قال شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويبقى حديث أبي هريرة «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»، وغيره -يعني: غير هذا الحديث من العموميّات- على عمومه يشمل كل من بلغه رؤية الهلال من أيّ بلدٍ أو إقليم، من غير تحديد مسافة أصلًا، كما قال ابن تيمية في «الفتاوى» (٢٥/ ١٥٧)، وهذا أمر متيسّر اليوم للغاية -كما هو معلوم- ولكنه يتطلّب شيئًا من اهتمام الدول الإسلاميّة؛ حتى تجعله حقيقة واقعة إن شاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وإلى أن تجتمع الدول الإسلاميّة على ذلك فإني أرى على شعب كلِّ دولةٍ أن يصوم مع دولته، ولا ينقسم على نفسه فيصوم بعضهم معها وبعضهم مع غيرها ممن تقدّمت في صيامها أو تأخرت؛ لما في ذلك من توسيع دائرة الخلاف في الشعب الواحد، كما وقع في بعض الدول العربيّة منذ بضع سنين، والله المستعان»[٢].

---

(١) (ص٣٩٧).

(٢) «تمام المنّة» (ص٣٩٨).

ومعنى هذا أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يحرص أن لا تتفرّق الدولة الواحدة، بل البيت الواحد، أحيانًا تجد الأخ يصوم والأخ الآخر مفطر وهذا خلاف السنّة، وهذا خلاف الإجماع، وهذا مخالفة للجماعة، الأمّة الإسلاميّة الآن أكثر من خمسين دولة، فعندما نجعل -أيضًا- الدولة الواحدة دولًا دولًا فهذا تفريق، وزيادة في توسعة الفراق والشقاق، وربما سمعتم الآن بدأت تفكر الدول الإسلاميّة في توحيد رؤية الهلال، واستأجروا لذلك القمر الصناعي وما شابه، والأصل -أيها الإخوة- أن تجتمع الأمّة في رؤية الهلال، أن تجتمع الأمّة في صيامها وفي حجها كما أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عموم الأمّة: «**صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته**»(١) كما في حديث النبي ﷺ، فالأصل في ذلك التزام الجماعة.

القاعدة الرابعة: وهي من المعاملات، ومن الأمور الخارجة عن العبادات: الإصلاح بين المؤمنين، والإصلاح -أيها الإخوة- بين المؤمنين من أعظم ما وحّد أمتنا عندما افترقت؛ عندما افترقت الأمّة ما جمع بينها ووحدها إلا الإصلاح بينهم، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ﴾ [الحجرات:٩]، فالصلح والعدل كلاهما

---

(١) سبق تخريجه.

قرينان ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩]، وقال: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٤]، والصلح، والعدل، والإخلاص لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يكون سببًا لتوحيد هذه الأمّة.

أخرج الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام، والصلاة، والصدقة**»، قالوا: بلى، قال: «**صلاح ذات البين، فإنّ فساد ذات البين هي الحالقة**»(١)، وهو حديث صحيح، قال الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويُروى عن النبي ﷺ أنه قال: «**هي الحالقة؛ لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين**»، وهو حسن بشواهده كما قال شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب»(٢)، فالإصلاح بين الناس من أعظم الأسس والقواعد التي قام عليها منهج سلفنا الصالح، ولهذا كانت أعظم صفات الحسن بن علي -رضي الله تعالى عنهما- وهي: السيادة، كما شهد له بذلك نبينا ﷺ، نالها بالإصلاح بين الناس، فقال: «إن ابني هذا سيد،

---

(١) «سنن الترمذي» (٢٥٠٩)، وصححه شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) (٢٦٩٥).

ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[١].

وقد بوّب عليها الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بابًا سماه بهذا الاسم (باب قول النبي ﷺ للحسن: «**إنّ ابني هذا سيد، ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»).

والقاعدة الخامسة: النصيحة -يا أيها الإخوة-، ففي «صحيح مسلم» عن تميم الداري -رضي الله تعالى عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدين النصيحة**»، قلنا لمن؟ قال: «**لله، ولرسوله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[٢].

وأخرج البخاري في «التاريخ» (٧/ ١٨)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٨٧٦)، و«السنّة» (١٠٩٧) والطبراني في «الكبير» (١٠٠٧)، وعزاه الحافظ في «الإصابة» (٤/ ٦٣١) لابن منده بسنده عن جبير بن نفير أنّ عياض بن غنم وقع على صاحب داريَّا حين فتحت، فأتاه هشام بن حكيم فأغلظ له القول ومكث عياض ليالي، فأتاه هشام يعتذر إليه، فقال: يا عياض! ألم تسمع رسول الله ﷺ يقول: «**أشدّ الناس عذابًا يوم القيامة أشدهم عذابًا للناس في الدنيا**»، فقال عياض: يا هشام؛ إنّا قد علمنا الذي

---

(١) رواه البخاري (٢٧٠٤).

(٢) رواه مسلم (٥٥).

علمت، ورأينا الذي رأيت، وصحبنا الذي صحبت، أولم تسمع يا هشام رسول الله ﷺ إذ يقول: «**من كانت عنده نصيحة لذي سلطان، فليأخذ بيده فينصحه، فإن قبلها، وإلا كان قد أدّى الذي عليه**»، وإنك يا هشام لأنت الجريء؛ إذ تجترأ على سلطان الله، أفما خشيت أن يقتلك سلطان الله فتكون قتيل سلطان الله -تعالى-.

فالنصيحة يا إخواني الكرام لا تكون على المنابر، في المظاهرات، في الفضائيات، في الصحف، في المجلات، وفي غير ذلك، الذي يُريد أن ينصح لأئمة المسلمين هذه طريق النبي ﷺ.

والقاعدة السادسة: الطاعة، أخرج الحاكم[١] عن بُريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل وفيهم أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فلمّا انتهوا إلى مكان الحرب أمرهم عمرو أن لا ينوروا نارًا، فغضب عمر، وهمّ أن ينال منه، فنهاه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخبره أنه لم يستعمله رسول الله ﷺ عليك إلا لعلمه بالحرب، فهدأ عنه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال الحاكم: «**هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يُخرجاه**»، وأخرج ابن أبي شيبة[٢] من طريق وهب بن كيسان عن جابر، قال: لمّا أرسل معاوية بُسر بن أرطأة

---

(١) (٤٣٥٧)

(٢) (٣٠٥٦٢).

ليبايعه الناس تخلفت، فدخلت على أمّ سلمة، فقالت له: يا ابن أم انطلق فبايع، واحقن دمك ودماء قومك، فإني قد أمرت ابن أخي يذهب فيبايع.

فالطاعة لولاة الأمر كانت سببًا لوحدة المسلمين كما فعل أبو بكر وعمر مع عمرو بن العاص، وأين أبو بكر وعمر من عمرو بن العاص، وهو الذي قال بعد هذه الغزوة: قلت يا رسول الله! من أحبّ الناس إليك؟ قال: «عائشة»، قلت: مِنَ الرجال؟ قال: «أبوها»، قلت: ثمّ من؟ قال: «عمر»، قلت: ثمّ من؟ فعدّ رجالًا فما أحببت أن يُتمّ فيجعلني آخرهم، فإذا كان أحباب رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر يُطيعون عمرو بن العاص -رضي الله تعالى عنهم-، فالطاعة هي سبيل سلفنا الصالح من الصحابة الكرام -رضي الله تعالى عنهم-.

قال ابن عبدالبر في «التمهيد»[١] معلقًا على بعض هذه الآثار: «وروي من حديث أبي ذر، وأبي هريرة، وابن عباس بمعنى واحد عن النبي ﷺ أنه قال: «**من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات فميتته جاهليّة**»، هناك في الحقيقة حديث أو أثر استأذن فضيلة الشيخ أن يأذن لي حتى أتمه، فقد أخرج الإمام أحمد[٢] ومسلم[٣]، وبوّب عليه النووي (باب في طاعة الأمراء

---

(١) (٢١/ ٢٨١).

(٢) (٥٥٥١).

وإن منعوا الحقوق)، وابن حبان[١] بوّب عليه قال: (ذكر إثبات موت الجاهليّة لمفارق جماعة المسلمين)، عن نافع قال: جاء عبدالله بن عمر إلى عبدالله بن مطيع حين كان من أمر الحضرة ما كان زمن يزيد بن معاوية، قال: اطرحوا لأبي عبدالرحمن وسادة، فقال -أي ابن عمر-: «إني لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدثك حديثًا سمعت رسول الله ﷺ يقوله، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجّة له، ومن مات مفارق الجماعة وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهليّة**»، والبيعة لإمام العامّة.

يُحدثنا النعمان بن بشير عن عبدالله بن مطيع، الذي خالف الصحابة -رضي الله تعالى عنهم-، وهو من كبار التابعين، يُحدثنا النعمان بن بشير عنه، قال: «**فأقبل النعمان بن بشير فأتى قومه، ودعا الناس إليه عامةً، وأمرهم بالطاعة، ولزوم الجماعة، وخوفهم الفتنة، وقال لهم: إنه لا طاقة لكم بأهل الشام**»، فقال عبدالله بن مطيع العدوي -من أقارب عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه-، ولكنّ الحقّ لا يعرف أنسابًا، فلذلك أقرب الناس إليه عبدالله بن عمر جاء ينصحه، قال عبدالله بن مطيع: «ما يحملك يا نعمان على تفريق

---

(٣) (١٨٥١).

(١) (٤٥٧٨).

جماعتنا، وفساد ما أصلح الله من أمرنا»، فقال النعمان: «أما والله لكأني بك لو قد نزلت تلك التي تدعو إليها -يعني الفتنة-، وقامت الرجال على الركب تضرب مفارق القوم وجباههم بالسيوف، ودارت رحى الموت بين الفريقين قد هربت على بغلتك تضرب جنبيها إلى مكة، وقد خلّفت هؤلاء المساكين -يعني الأنصار- يقتلون في سككهم ومساجدهم، وعلى أبواب دورهم»، فعصاه الناس، فانصرف وكان والله كما قال[١]، أول المتولين كان عبدالله بن مطيع، وقال تلك الأبيات المشهورة عنه:

أنـا الـذي فـررت يـوم الحـرّة والحـــرّ لا يفـــرّ إلا مـــرّة

وهـــذه الكـــرّة بعـــد المـــرة .....

وهكذا كلّ من يخالف هدي النبي ﷺ وسبيل المؤمنين لا بدّ أن يفرّ مرة بعد مرة، ولكن إلى أين المفر، فالمفر فقط إلى جماعة المسلمين، وإلى ما كان عليه سلفنا الصالحين.

وللحديث بقيّة، ولله الأمر من قبل ومن بعد، والحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٨١).

شعار:

(نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه) رؤية شرعيّة -دراسةً وتأصيلاً-

فضيلة الشيخ

علي بن حسن الحلبي

شعار:

(نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه)

رؤية شرعيّة -دراسةً وتأصيلاً-

إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، **أما بعد:**

فإنّ أصدق الحديث كلام الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور مُحدثاتها، وكلّ محدثةٍ بدعة، وكلّ بدعةٍ ضلالة، وكلّ ضلالة في النار، أمّا بعد:

فكم هي تلكم الكلمات التي تتردّد على الأسماع، وتنتشرُ في البقاع والأصقاع، ويُردِّدُها الكافّة من الأشكال والأصناف والأنواع بغير تنبُّهٍ، ومن غيرِ انتباهٍ، وبلا تفكيرٍ ولا تدبُّر، وهذا من الخطورةِ بمكان، وقد قيلَ قديمًا: (كثرةُ الإمساس تفقد الإحساس)، فأن تتقبَّلَ الآذانُ كلمةً تشتهر وتنتشر، فإنّ ذلك يُعطيها -ولو بالواقع الواقعيّ- نوعًا من القبول والرضا، ولو كانت من أبعد شيءٍ يكون عن الحقِّ والهدى، ولكنَّ الحقَّ لا يكتسِبُ عليائه، ولا ينالُ

ضيائه بمُجرَّدِ الكثرة، أو من خلال محضِ الرضا، وإنّما ينال هذا أو ذاك بمقدار ما ينال من شرف الحق، وبقدر ما يلم بأسباب الهداية والتسديد، وهذه الكلمة التي ذاعت، وانتشرت، وهي قول القائل: «يعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه» كلمةٌ من أبطل الباطل؛ لأنها سبيلٌ واسع، يتّخذهُ ستارًا له كلُّ صاحب دعوى؛ بحجّة هذا العموم، وبشبهةِ هذه السَّعة الفضفاضة: «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه».

كلمةٌ لا يُعرف لها قائلٌ على وجه الجزم، قيل: هي للشيخ محمد رشيد رضا، وقيل: هي للشيخ حسن البنا، وإن كانت شهرتها من حيثُ النِّسبةُ لهذا الأخير أكثر من شهرتها من حيث النسبة للأول، ولمّا كان البحثُ العلميُّ يَعلو عن محض النسبة، ويُناقش المسائل لقولها لا لمجرّد قائلها، فإننا لن نقف عند هذه النسبة كثيرًا، سواءٌ أصحَّت للأوّل دون الثاني، أو العكس.

وكما قلت إنّ ترددها جعل بعض الناس يقبلونها كالمسلَّمات، بل كتبت بعض الصحف في بعض البلاد الإسلاميّة مقالًا بقلم رجلٍ منتسب إلى العلم، استدلّ بهذه العبارة قائلًا: عليها أثرٌ من أنوار النبوّة، كذلك يزعمون فيما يتوهّمون ويجهلون، ولا يستويان الحق والباطل.

نقطة أخرى: أنني قرأت منذ سنوات لاثنين معدودين من أكابر الدعاة، ممن هم من أهل مدرسة القائل الأخير، الذي نُسبت إليه هذه الكلمة وهو

الشيخ البنا -غفر الله لنا ولكم وله-، قال أولهم محاولًا الاستدراك بصورة لطيفة، دون أن يجرأ بالتخطئة، معدلًا العبارة قائلًا: «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه مما للاجتهاد فيه نصيب»، فزاد قوله: (مما للاجتهاد فيه نصيب)، والأصل ضبط كلمة الاجتهاد -أيضًا- بصحةِ المسألةِ من كونها اجتهاديّةً، وبصحةِ شرط المجتهد المعتبر ثانيًا، وقال آخر: «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه مع التناصح، والتواصي بالحقّ والتواصي بالصبر»، وهذا ينبغي أن يكون عليه قيدٌ ثانٍ -أيضًا-، فهذا التناصحُ إنّما يكونُ مقبولًا من أهله، على أصله، دون استعمال لفظ النصيحة على غير وجهها، فمن المشاكل المعاصرة اليومَ -أيضًا- استعمال لفظ النصيحة على غير وجهه، يعني أن تنصح بمعنى: أن تسكت، بمعنى: أن لا تُنكر، وهذا من الخطأ بمكان.

من مثل هذه العبارة المشتهرة ذكر بعض المنتسبين إلى العلم كلمةً أخرى مثلها، وهي قولهم: «لا إنكارَ في مسائل الخلاف»، وهذا خطأ، وقد نبّه عليه الإمام ابن القيّم في كتابه «إعلام الموقعين عن ربّ العالمين» بيّن خطأ هذه العبارة، وخلاصةُ قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنّ الإنكار لا بدّ منه، ولكن هنالك تبديع، وهنالك تضليل، وهنالك تأثيم له ضوابطه، فليس كلُّ مسألةٍ خلافيّة يكون فيها هذا التبديع، بل ليس كلّ من وقع فيما أنت تخطئه هو يكون

مبتدعًا، أو آثمًا، فهذه دقيقةٌ دقيقة ينبغي النظر إليها بعين الحقيقة.

ومن الممارسات الخاطئة، والغالطة، والغارقة في الخطأ والغلط ما نُقل في بعض شاشات التلفزة عن رافضيٍّ كان يُناقَش ويُناقِش، فقالوا له: كيف تسبُّون الصحابة؟ قال: إذا ترك أهل السنّة سبّ أهل البيت نحن نترك سبّ الصحابة، نعوذ بالله، ومن من أهل السنّة يسبُّ أهل البيت، وهم المقدّمون بقدر ما قدّمهم الله، وهم المقدّرون بقدر ما قدّمتهم سنّة رسول الله ﷺ، ولكنها المغالطة والمماحكة بغير حقّ، ولا علم، ولا هدى، ولا كتاب منير.

ومما ينبغي ذكره عودًا إلى ما كرّرناه حتى أسأمناكم أمس في موضوع المصطلحات والإجمال فيها، وأنا أرى ذلك لازمًا؛ لأني كما قلتُ أعده من أخطر القضايا، ومن أجلِّ المسائل، التي تنضبط من خلالها العقول والأذهان، ويرتبط بها القول واللسان، هنالك كلمة لشيخ الإسلام ابن تيمية، يقول فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمّا الألفاظ التي ليست في الكتاب والسنّة، ولا اتفق السلف على نفيها أو إثباتها فهذه ليس على أحدٍ أن يوافق من نفاها أو أثبتها حتى يستفسر عن مراده، فإن أراد بها معنىً يوافق خبر الرسول ﷺ أقرّوا به، وإن أراد بها معنىً يُخالف خبر الرسول ﷺ أنكره، ثمّ التعبير عن تلك المعاني إن كان في ألفاظه اشتباهٌ أو إجمالٌ عبّر بغيرها، أو بيّن مراده بها،

بحيثُ يحصل تعريف الحق بالوجه الشرعي»[١].

قد يقول قائل: مراد صاحب تلك العبارة مرادٌ حسن، ونيته طيبة؟

نقول: نحن لا ننازع في النيّات، فالنيّات أمرها موكول إلى ربّ البريّات، ولكننا نضبط الألفاظ والعبارات، والكلمات؛ ليكون التعبير بها بتعريف الحق بالوجه الشرعي كما يقول شيخ الإسلام، لا لتكون مدخلًا لأهل الأهواء ليمرروا أهواءهم، وتنطلي ضلالاتهم، فهذا ليس منّا، ولا يمكن أن يكون عن طريقنا.

ثمّ قال شيخ الإسلام: «فإنّ كثيرًا من نزاع الناس سببه ألفاظٌ مجملة مبتدعة، ومعانٍ مشتبهة، حتى تجد الرجلين يتخاصمان، ويتعاديان على إطلاق ألفاظٍ ونفيها، ولو سئل كلٌّ منهما عن معنى ما قال -أي ما قاله هو- لم يتصوّره، فضلًا عن أن يعرف دليله، ولو عرف دليله لم يلزم أنّ من خالفه يكون مخطأً، بل يكون في قوله نوعٌ من الصواب، وقد يكون هذا مصيبًا من وجه، وهذا مصيبًا من وجه، وقد يكون الصواب في قولٍ ثالث».

سارت مشرقةً وسرت مغربا شتّان بين مشرّقٍ ومغرّبِ

هذه إضافة على كلام شيخ الإسلام؛ لتمثّل واقعًا حياتيًّا معاشًا، نلمسه، ونحياه من كثير من الناس -وللأسف الشديد-، تقول لهم: هذا هو الحق،

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٢/ ١١٤).

وهذا دليله، وهذه بيِّنته، وهذا قولي، وهذا عماده، وهذا اعتماده، يقولون: لا؛ أنت تقول كذا وكذا، ولعلي ذكرت لإخواني غير مرّة ما كان يتهامس به البعض من قولهم: الشيخ الألباني مرجئ، فسمع رجلٌ هذه الكلمة، وكأنها تطرق أذنه للمرّة الأولى، قال: يا فلان؛ ما معنى مرجئ؟ قال: والله لا أعلم المهم أنه مرجئ، (عنزة ولو طارت)، هذا يُكرّر مصطلحًا أو كلمةً لا يعرف معناها، وأنا أجزم أنه لا يعرف تصريف مبناها، لا حول ولا قوّة إلا بالله.

نقطةٌ أخرى: أنّ بعض الناس قد يستدلُّ على مشروعيّة الخلاف واعتباره بكونه واقعًا، وقد يستدلُّ على ذلك بمثل قول الله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾ [هود:١١٨-١١٩]، وقد يزيد الأمرَ سوءًا بأن يقول: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي: للاختلاف، فيعكس المعنى، **الجواب عليه له وجهان:**

أمّا الوجه الأول: أنّ كون الخلاف واقعًا فإنّ هذا لا يُنافي أنه ممنوع شرعًا، فهنالك قضاءٌ كوني، وهنالك قضاء شرعي، فالقضاء الكونيّ متعلّق بكينونة الأشياء، وواقعها، ووجودها، وأمّا القضاء والإرادة الشرعيّة فمتعلّقةٌ بضبط هذه الأشياء والأعمال بأحكامها الشرعيّة، إن حلالًا فحلالٌ، وإن حرامًا فحرامٌ، إن كان كفرًا فكفرٌ، وإن كان إيمانًا فإيمانٌ، فالخلط بين هذين من أقبح القبيح، والقبيح كله قبيح.

أمّا الثاني: فقد أخرج الإمام ابن أبي حاتم في «تفسيره»، والإمام أبو

الشيخ الأصبهاني في «تفسيره» كما ذكر السيوطيُّ في «الدر المنثور» عن طاووس بن كيسان اليمانيّ، من أكابر علماء السنّة، التابعين، الثقات، أنّ رجلين اختصما إليه، فأكثرا، كلٌّ واحد يختصم، ويعلو، ويرغي، ويزبد، فقال طاووس: اختلفتما فأكثرتما، يعني: هونوا شيئًا ما، فقال أحد الرجلين: لذلك خُلقنا، يستدل بقوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ﴾، فقال طاووس: كذبت، فقال الأول، يستدل: أليس الله يقول: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ﴾ دليل، لكن هل إيراد الدليل يلزم منه صحّة الاستدلال؟ هذان لا يجتمعان بالضرورة، قد يجتمعان، وقد ينتفيان، قد تسأل رجلًا: ما دليل تكبيرة الإحرام؟ فيقول لك: بسيطة: قول الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[١]، دليل صحيح، لكن استدلال من أبعد شيء يكون، فلا بدّ عند ذكر الدليل من صحّة سنده، وصحّة استدلاله وإيقاعه في موقعه، قال: أليس الله يقول: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ﴾، قال طاووس: لم يخلقهم ليختلفوا، ولكن خلقهم للجماعة والرحمة، وهذا قول النبي ﷺ، وأخذه من قول النبي ﷺ: «**الجماعة رحمة، والفرقة عذاب**»[٢]، الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول تأكيدًا لمعنى الافتراق على وجه الذمّ:

---

(١) «صحيح الجامع الصغير» (٣٩١٣).

(٢) سبق تخريجه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الأنعام:١٥٩]، يقول الإمام البغوي في «تفسيره»(١): «هم أهل الأهواء والبدع»، فحيثُ وجدت الافتراق ابحث ستجد البدعة، وستجد الهوى، قال الشاطبي: «الفُرقة من أخسّ أوصاف المبتدعة»، وعليه؛ فإنّ أعظم وأعلى أوصاف أهل السنّة الجماعة، والاتحاد، والوحدة.

وهنا كلمة للإمام أبي المظفّر السمعاني في كتاب له اسمه «الانتصار لأصحاب الحديث»(٢) لا نعرف عنه إلا نتفًا نقلها الإمام قوام السنّة الأصبهاني في كتابه «الحجّة في بيان المحجّة»، وما نقله السيوطي في كتاب «صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام»، قال السمعاني: «وممّا يدلُّ على أنّ أهل الحديث هم على الحقّ: أنّك لو طالعت جميع كتبهم المصنّفة من أوّلهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وأزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كلّ واحدٍ منهم قطرًا من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، وخطٍّ واحد، يجرون فيه على طريقة واحدة، لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافًا ولا تفرُّقًا في شيء ما وإن قَلَّ، بل لو

---

(١) (٣/ ٢٠٨).

(٢) (ص٤٥) وقد طبع الكتاب لا حقًا.

جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء من قلبٍ واحد، وجرى على لسانٍ واحد، وهل على الحقّ دليلٌ أبين من هذا»، قال: «وأمّا إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع؛ رأيتهم متفرقين مختلفين، أو شيعًا أحزابًا، لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقةٍ واحدةٍ في الاعتقاد، يُبدّعُ بعضهم بعضًا، بل يرتقون إلى التكفير، يُكفِّرُ الابن أباه»، والله إني قد سمعت أخًا من أفاضل إخواننا اليوم قال: لمّا كنت مبتلىً ببدعة التكفير كفّرتُ والديَّ، فالحمد لله على الإسلام والسنّة، وكفى بها نعمةً ومنّة، قال: «بل يرتقون إلى التكفير، يُكفّر الابن أباه، والرجل أخاه، والجار جاره، تراهم أبدًا في تنازعٍ، وتباغضٍ واختلاف، تنقضي أعمارهم ولم تتّفق كلماتهم ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ﴾ [الحشر:١٤]».

هذه كلماتٌ أشبه بكلمات أبناء الأنبياء؛ لأنها مرتبطةٌ بوحي السماء، لا تحيد عنه قِيْدَ أُنملة، ولا موضع نظر، وإنّ هذا الكلام هيّج في نفسي أحزانًا، وهيّج في قلبي سواكنَ، ولواعِجَ، فقد تذكّرت دعوة الكتاب والسنّة، دعوةَ التوحيدِ ونهجِ سلف الأمّة، لمّا كان رعاتها كبارنا، وهداتها خيارنا، من مثل مشايخنا الأكابر الفحول، الجبال، الكملة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، الشيخ ابن باز، والشيخ الألباني، والشيخ ابن عثيمين -رحم الله الجميع-، كيف كانت القلوب واحدة، والنهج واحدًا، والدعوة واحدة، والنفوس متآلفة، والأبدان مؤتلفة،

لا تجد موضعًا لريبة، أو مكانًا لبدعة، أو مجالًا لصاحب شبهة، ما إن يرفع رأسه إذا بسياط أهل السنّة تلسعه، تكلَّم ذاك الصوفيُّ المتسربل بلباس أهل السنّة ليطحن أهل الحقِّ بمواعظه الباطلة، فقال شيخنا فيه كلمة، قال: «اطحنوه طحنًا»، فلم تقم له من بعدُ قائمة، وهكذا؛ كلّ من رفع بالباطل رأسه نقضوا بالحقّ قوله، حبذا تلكم الأيام، وإننا لنراها راجعةً بإذن الله الملك العلام.

وهنا كلمة للإمام قتادة بن دعامة السدوسيّ من أئمة العلم -أيضًا- من التابعين، رواها عنه الإمام الطبري في «تفسيره»(١)، قال: «أهل رحمة الله أهل جماعة، وإن تفرّقت دورهم وأبدانهم، وأهل معصية الله أهل فُرقة وإن اجتمعت دورهم وأبدانهم»، وكلمة معصية هنا ليس المراد بها فقط معصية الشهوة، فقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ إجماع أهل العلم على أنّ أهل البدع والشبهات شرٌّ من أهل المعاصي والشهوات بإجماع الأمّة، لذلك قال من قال من السلف: «البدعة أحبّ إلى إبليس من المعصية، فإنّ المعصية يتاب منها، والبدع لا يُتاب منها»(٢)، ويوسف بن أسباط قال: «كتب إليّ سفيان الثوري يقول: إذا بلغك من أهل المغرب أنّ رجلًا سُنيًّا

---

(١) (١٢/ ٦٣٥).

(٢) رواه الهروي في «ذم الكلام وأهله» (٩١٤) عن سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

هناك، فأرسل إليه بالسلام ولو كنت من أهل المشرق؛ فإنّ أهل السنّة قليل»[(١)]، إذن الذي يجمعهم ليس الأبدان، وليس المكان، وإنّما السنّة والإيمان.

وهذا يُذكرنا بكلمة الإمام الشافعيّ، ولها في هذا الملتقى موضع، لكني أذكرها تعجلًا بالخير، بمعنى: أنّ الخير، والجماعة المعتبرة في الشرع هي جماعة الأفهام، أمّا التركيز على جماعة الأبدان فلا؛ فإذا اجتمعت الأبدان على الأفهام فنورٌ على نور، ولهذا موضع تفصيله في ملتقانا العلميّ هذا.

قد يستدلُّ بعض الناس ببعض الآيات وبعض الأحاديث، وقد يكون بعضها صحيحًا -أعني: المرويات والأحاديث-، وقد يكون بعضها لا يصح، فما كان صحيحًا نرجع إلى ما قلنا: أنّ صحّة الدليل لا تُثبت صحّة الاستدلال إلا بالوجه الشرعيّ العلميّ المعتبر الذي عليه المعوَّل والنظر، فكم من الناس سمعناهم يستدلون بالحديث المتّفق على صحّته عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: قال النبي ﷺ يوم الأحزاب: «**لا يُصلّينّ أحدٌ العصر إلا في بني قريظة**»[(٢)]، فأدرك بعضهم العصرَ في الطريق، فقال بعضهم: لا نُصلي حتى نأتيهم، وقال بعضهم: بل نُصلي، لم يُرد النبيُّ ﷺ منّا ذلك، فذُكر ذلك

---

(١) «حلية الأولياء» (٧/ ٤٣).

(٢) رواه البخاري (٩٤٦).

للنبيّ ﷺ -أي: بعد- فلم يُعنّف واحدًا منهم، فبعض الناس ماذا يقولون: رسول الله أقر كلتا الطائفتين، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه، قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»، الذي قيل فيه: لا هجرة بعد الفتح، وسمعتُ شيخنا مرارًا يقول في مُصَنِّفه الحافظ ابن حجر: الذي لم تكد تلد النساء مثله رَحِمَهُ ٱللَّهُ من بعده، قال الحافظ في «الفتح»[(١)]: «الاستدلال بهذه القصّة على أنّ كلَّ مجتهدٌ مُصيبٌ على الإطلاق ليس بواضح، وإنّما فيه ترك تعنيف من بذل وُسعه واجتهد، فيُستفاد منه عدم تأثيمه»، انظروا دقّةَ العلماء، ورشاقةَ تعبيرهم، وحسَّهم المرهف في النظر في الدليل، وشفوف هذا النظر؛ ليأخذوا منه العبرة، والفائدة، والثمرة، بكلِّ سلاسة، وسلامة، وانتظام، لا أن يأخذ القاصرون ما هم دونه من علم، أو فهمٍ، أو معرفة، وله كلام كثير، لكن هذا أهمُّ ما فيه، وهذا يُرجعنا إلى كلمةِ: «كلّ مجتهد مُصيب»، الحافظ يقول: «الاستدلال بهذه القصّة على أنّ كلّ مجتهد مصيب على الإطلاق ليس بواضح»، ولو قال: «ليس بصحيح» لكان أقرب إلى الصواب، لكن أحيانًا يتحفّظ علماؤنا وأئمتنا في العبارات لاعتبارات، فسمعنا كثيرًا من الناس من يقولون: «كلّ مجتهد مصيب»، وهذا خطأ؛ لأنّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في حديث عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المتفق على صحته يقول:

---

(١) (٧/ ٤٠٩).

«إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد وأخطأ فله أجر واحد»[١]، فثبّتَ أنّ الصواب أجران، وأنّ عكس الصواب الخطأ، وهو أجرٌ واحد؛ أجر الاجتهاد في تطلُّبه، وبذل الوسع في النظر فيه، وأخذه، وهذا نصٌّ صريح قاطع، لذلك قولهم: «كلّ مجتهد مصيب» خطأ، وقد نُصوّب العبارة بأن نغيّر منها بعضًا منها، فلو قلنا: «لكلّ مجتهد نصيب» لكان هذا قريبًا وصحيحًا، لو قلنا: «كلُّ مجتهد عند نفسه مصيب» نقول: هذا قريب، أمّا كلّ مجتهد مصيب -أي: عند الله-، فعند الله الحقُّ واحد لا يتعدّد، نعم قد يتعدّد الحقُّ عند أصحابه، ودعاته، وأدعيائه، اختلفنا في مسألة؛ القراءة خلف الإمام كما اختلف فيها الأئمة من قبل، هذا يقول: اقرأ، وهذا يقول: لا تقرأ، اختلفنا في مسّ المرأة هل ينقض الوضوء أم لا ينقض، يقول: هذا ينقض وهذا لا ينقض، مستحيل أن يكون كلا القولين واحدًا ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]، قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما رواه عنه الحافظ ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله»[٢]، قال في اختلاف أصحاب رسول ﷺ: «ليس كما قال ناس فيه توسعة، ليس كذلك إنما هو خطأ أو صواب»، يعني: في المسألة قولان، قول: في المسألة لفٌّ ودوران، وليس في

---

(١) رواه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦).

(٢) (١٦٩٥).

المسألة قولان، في المسألة قولان من حيث الواقع، لا من حيث أن تتخذ ذلك تسويغًا لهذا الخلاف، لذلك قال عن الصحابة وعن اختلافهم: «ليس في اختلاف الصحابة سَعة، إنما هو خطأ أو صواب»، **فأقول:**

أولًا: فكيف بمن بعدهم.

ثانيًا: هذا يؤكد قصّة الإمام مالك عندما أرادوا أن يجمع الناس على «الموطأ»، فنُقِلَ عنه أنه قال: «كلّ مجتهد مصيب»، وهذا خطأ، صريح عبارته تردُّ تلك الرواية المحرّفة، وقد جاءت على الصحّة في ألفاظٍ أخرى.

النجاة من الاختلاف -أيها الإخوة- بالنّظر المرعيّ في الدليل الشرعيّ من كتاب الله وسنّة النبيّ، وبفهم السلف النقيّ، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥]، **هنا كلمتان:**

إحداهما للإمام البربهاريّ، يقول: «**والأساس الذي تُبنى عليه الجماعة وَهم أصحابُ محمدٍ ﷺ ورحمهم الله أجمعين، وهم أهل السنّة والجماعة، فمن لم يأخذ عنهم فقد ضلّ وابتدع، وكلّ بدعة ضلالة، والضلالة وأهلها في النار**»[(١)]، كلمة شيخ الإسلام في الباب نفسه.

وهنالك كلمة للإمام ابن كثير تبيّن مفاسد هذه العبارة أو هذه الجملة:

---

(١) «شرح السنة» (ص٣٥).

«نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه»، وبيانه رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبنيٌّ على تصوُّرِ أصل، وهو أنّ هذه القاعدة مبتوتة الصلة، ومبتورة الاتصال عن السلف وعلمائهم، الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول -مبكتًا للكفار، منكرًا عليهم في إنكارهم فضلَ المؤمنين وخيريتهم-، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف:١١]، يعني ليس الحقّ فقط بكم، وإنّما لو كان خيرًا ما سبقونا إليه، فجعلوا السبق والقِدم علامةَ صحّة، ماذا قال الإمام ابن كثير معلِّقًا، وهذا هو الأصل العلميّ والشرعيّ، يقول[1]: «وأمّا أهل السنّة والجماعة فيقولون في كلّ قولٍ، وفعلٍ لم يثبت عن الصحابة هو بدعة؛ لأنه لو كان خيرًا لسبقونا إليه، لأنهم لم يتركوا خصلةً من خصال الخير إلا وقد بادروا إليها»، فأين هذه العبارة، وهذه الجملة من أقوال السلف، ومقالات الصحابةِ والتابعين.

الأمر الثاني: إذ قد تقرّر أنها ليست من أقوالهم؛ فهي بدعة، كما قيل:

وخير الأمور السالفاتُ على الهدى وشرّ الأمور المحدثات البدائعُ

وقيل:

وكلّ خير في اتباع من سلف وكلّ شرّ في ابتداع من خلف

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٧/ ٢٧٨).

والأدلة على هذا من الكتاب والسنّة كثيرة، ويكفي الناظرَ كتاب «الاعتصام» للإمام الشاطبيّ ليرى فيه حجج الوحيين تترى في تأصيل شرّ البدعة، والتوكيد على خطرها.

الأمر الثالث: أنّ فيها فتحًا لبابٍ واسعٍ من الشر، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته «التدمريّة»، وبعض أهل البدع قرأت له مقالًا، يقول: السلفيون كلُّ كتبهم عدوانيّة: «اجتماع الجيوش الإسلاميّة»، «الصواعق المرسلة»، «الرسالة التَّدميريّة»، تحرفت عليه «الرسالة التدمريّة» إلى «الرسالة التدميريّة» -والعياذ بالله-، جهلٌ بالعلم، وجهلٌ باللغة، قال شيخ الإسلام في «رسالته التَّدميريّة» لأهل البدع، و«التّدمُريّة» نسبة إلى تدمر من أعمال الشام ودمشق، قال: «وإنما يظهر من البدع أولًا ما كان أخف، وكُلَّما ضعُفَ من يقوم بنور النبوّة قويت البدعة»، إذن؛ كلّما وسَّعنا ولم نضبط، وتوسَّعنا ولم نُدقّق كلّما كان ذلك أدعى لبروز رؤوس الشر.

وللإمام البربهاريّ في «شرح السنّة» كلمةٌ رائعةٌ في هذا الباب، وهذا الاتكاء على مثل هذه الجملة والعبارة فيه تزيُّدٌ من التفرُّق، وزيادة في الاختلاف، قال الإمام الخطابيّ في كتاب «العزلة»: «فأمّا الافتراق في الآراء والأديان فإنه محظورٌ في العقول، محرَّمٌ في قضايا الأصول؛ لأنه داعية الضلال، وسبب التّعطيل والإهمال، ولو ترك الناس متفرقين لتفرّقت الآراء

والنّحل، ولكثرت الأديان والملل، ولم تكن فائدة في بعثة الرسول، وهذا هو الذي عابه الله عَزَّوَجَلَّ من التّفرُّقِ في كتابه، وذمّه في الآيات القرآنيّة كثيرًا، فماذا بعد الحقّ إلا الضلال»، هل يستويان أن يعذر المبطل صاحب الحق كما يعذُرُ المُحقُّ صاحب الباطل؟!! لا يستويان ولا يلتقيان.

ونختم بالمسك، فتاوى علمائنا وأئمتنا الثلاثة، وأحكامهم في هذه العبارة غير الشرعيّة، يقول الشيخ ابن باز[1]: «نعم؛ يجب أن نتعاون فيما اتفقنا عليه من نصر الحق، والدعوة إليه، والتحذير مما نهى الله عنه ورسوله، أمّا عذر بعضنا لبعضٍ فيما اختلفنا فيه فليس على إطلاقه، بل هو محلُّ تفصيل، فما كان من مسائل الاجتهاد التي يخفى دليلها، فالواجب عدم الإنكار فيها من بعضنا على بعض، أمّا من خالف النصّ من الكتاب والسنّة، فالواجب الإنكار على من خالف النصّ بالحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن»، وله كلامٌ آخر.

الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «قولهم: نجتمع فيما اتفقنا فيه فهذا حقّ، وأمّا قولهم: ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه، فهذا فيه تفصيل؛ فما كان الاجتهاد فيه سائغًا فإنه يعذر بعضنا بعضًا فيه، ولكن لا يجوز أن تختلف القلوب من أجل هذا الاختلاف، وأمّا إن كان الاجتهاد غير سائغ فإننا لا

---

(١) «مجلة البحوث الإسلامية» العدد العاشر (ص٢٨٤).

نعذر من خالف فيه، ويجب عليه أن يخضع للحقّ، فأوّل العبارة صحيح، وآخرها يحتاج إلى تفصيل».

وأمّا كلمة شيخنا العلامة الإمام، وكُلّهم شيوخنا، وكلهم علماء وأئمة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، فقد قال: «هذه القاعدة قائلوها هم أول من يُخالف فيها هذه الفقرة، وهي: (يعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه)»، قال: «ونحن لا نشكّ بأنّ شطرًا من هذه الكلمة صواب، وهو: (نتعاون على ما اتفقنا عليه)، الجملة الأولى مقتبسة من قوله -تعالى-: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة:٢]، أمّا الجملة الأخرى: (يعذر بعضنا بعضًا) فلا بدّ من تقييدها، متى؟ حينما نتناصح، ونقول لمن أخطأ أخطأت، الدليل كذا وكذا، فإذا رأيناه ما اقتنع، ورأيناه مخلصًا فندعه وشأنه، فنتعاون معه فيما اتفقنا عليه بعد التخطئة والتناصح، أمّا إذا رأيناه عاند واستكبر، وولّى مدبرًا، فحينئذٍ لا تصحّ هذه العبارة، ولا يعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه».

أسأل الله -تعالى- لي ولكم التوفيق والسداد، والهدى والرشاد، وأن يرحم علمائنا وأئمتنا، وأن يجمعنا وإياكم وإياهم في رحمته في جنته، إنه -سبحانه- وليُّ ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

القسم الثاني

الندوات

١- وحدة المسلمين بين التكوين والتمكين

٢- وحدة المسلمين بين الأفهام والأبدان

الندوة الأولى

وحدة المسلمين

بين التكوين والتمكين

شارك في الندوة:

فضيلة الشيخ علي بن حسن الحلبي

فضيلة الشيخ أحمد الخشاب (أبو اليسر)

كلمة فضيلة الشيخ علي بن حسن الحلبي

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمدٍ الهادي الأمين، وعلى آله وصحبه الطيّبين الطاهرين، ولا عدوان إلا على الظالمين، **أمّا بعد:**

فلولا أنّ العرفَ السائد يقتضي أن تكون الندوةُ في آخر المطاف على حسب العادة المتبعة لكان الواجب أن تكون هذه الندوةُ رأس الأمر؛ لأنها عنوان هذا الملتقى، وشعاره، وآيته، ولكن ليقضيَ الله أمرًا كان مفعولا.

ومما ينبغي التذكير به لا الاعتذار عنه أنّ طبيعة الدورات العلميّة، أو المؤتمرات، أو الملتقيات العلميّة المتخصّصة، أنها وإن تنوّعت محاورها، وتعدَّدت محاضراتها، وصورها، فإنّ المقصود الأوّل منها كلّها هو: تحقيق العنوان، وعليه؛ فإنّ ما تكرّر، أو يتكرَّرُ، أو سيتكرّر من أدلّة، أو حُجج، أو نصوص، أو أفكار، فهذا شيء لا يُعتذر عنه؛ لأنه هو الأصل، فنحن نبحث بحث دليل، لا نظر أقاويل، والدليل بيّن وظاهر، والمدرسة السلفيّة أشهر من نار على علم في حججها وبراهينها، واستدلالاتها، وهذا التنوُّع في المحاضرات، والندوات، واختلاف العناوين، كلُّه يلتقي مضمونًا واحدًا

هو: بيان أهميّة الوحدة الإسلاميّة على الأسس الشرعيّة، وكفُّ خطر التفرُّق، المبنيِّ على الهوى، والجهل، والانحراف، فهذا أمرٌ بدهيٌّ جدًا، وطبيعيٌّ جدًا، فلا يُعتذر عنه ابتداءً.

قلنا: هذه الندوة العلميّة التي نفتتح بها الندوات، فهي الأولى، والثانية هي الأخيرة، والتي هي بعنوان: (**وحدة المسلمين بين التكوين والتمكين**)، فإنها ستكون -إن شاء الله- نافعةً ومجزية، وذات أثر وتأثير، وسيكون لإخواننا المشايخ، أصحاب الفضيلة -جزاهم الله خيرًا- السَّبقَ في البيان والإبانة، والتبيين بالحجج والبراهين.

وأوّل ذلك وأولاه هو العنوان، فالأصل في العناوين أن تدلّ على المضامين، لا أن تكون العناوين خاليةً من المعنى، خليّةً من الحقيقة، ولمّا كان في العنوان مصطلحات: (**وحدة المسلمين، التكوين، التمكين**) قد تذهب بعض العقول ذات الشمال وذات اليمين بهذه المعاني، فتأخذها على غير وجهها، وتذهب بها إلى غير مراداتها، فكان لا بدّ من ضبط المصطلحات الواردة في العنوان.

وإني لأعتقد -وهذا خروج عن الموضوع كالعادة- أنّ قضيّة المصطلحات في هذا العصر من أخطر القضايا العلميّة، فالمصطلح إذا لم يكن واضحًا بين المختلفين أو المتحاورين فحينئذٍ يُقال:

شكونا إليهم خراب العراق فعابوا علينا شحوم البقر

فأين هذا من هذا؟ لكن إنه الاضطراب في المصطلح وفهمه، لذلك توضيح المصطلحات وإبانتها، وإظهارها فيه فوائد جلّة، **أهمها اثنتان:**

الأولى: إيضاح المقصود من غير تردُّد.

الثانية: دفع المُتوهَّم من غير المراد، وهذا كله ما سنسمعه من أخينا الشيخ أبي اليسر فيما لا يزيد عن عشر دقائق، جزاه الله خيرًا، وبارك الله فيه.

كلمة فضيلة الشيخ أحمد الخشاب (أبو اليسر)

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن اتبع هداه، **أمّا بعد:**

فعنوان ملتقانا هذا -كما تعلمون- أيها الإخوة: **(وحدة المسلمين بين التكوين والتمكين)**.

الوحدة -أيها الإخوة- أو الوَحدة -بفتح الواو وكسرها-، هذا اللفظ يدلُّ على الاتحاد، يدلُّ على اتحاد المسلمين، وأن يكونوا جميعًا على قلب رجلٍ واحد.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمرنا -جميعًا- بذلك كما سمعتم في الآيات الكريمات التي تُليت على مسامعكم في افتتاحيّة هذا الملتقى الكريم، قال الله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]، فيأمر الله بتحقيق التقوى بأن نكون على الإسلام إخوةً متّحدين، حيث أمر بعد ذلك بقوله: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران:١٠٣] اعتصموا، أي: تمسَّكوا بدين الله، كتابًا وسنّةً، وفهمًا صحيحًا بفهم السلف الصالح، فإنّ في ذلك العصمة، وإنّ في ذلك إظهار الوحدة الحقيقيّة في الفهم، والعمل،

والتعليم ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٣] ، فهذا يُنافي الاتحاد، فإذًا نحن مأمورون بالاتحاد، وهو حتمٌ لازم، واجبٌ على كلّ مسلم ومسلمة، في مشارق الأرض ومغاربها، واجبٌ على الحكّام والمحكومين، واجبٌ على العلماء والمتعلِّمين، واجبٌ على الجميع أن يتّحدوا، وأن يكونوا يدًا واحدةً على من سواهم، وأن يُحقّقوا المعنى الذي لأجله بعث الله رسولهُ محمدًا ﷺ، بعثهُ ليُوحِّد الناسَ أجمعين على كلمةٍ واحدة، على كلمةٍ سواء، وأرسل إلى ملوك العرب والعجم يدعوهم إلى كلمةٍ سواء ﴿تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ [آل عمران:١٦٤]، هذا هو معنى الاتحاد الذي يجبُ علينا جميعًا، وما دام هناك الافتراق إذًا ليس هناك اتحاد.

كيف يكون هذا الاتحاد؟ يكون هذا الاتحاد بالتكوين، والكون من الحدث، والإيجاد، كوّن: أحدث، كوّن: أوجد، فلا بدّ أن يكون هناك شيءٌ، هذا الشيء هو الذي يكوّن الوحدة، هو الذي يُوجد الوحدة، هو الذي يؤدي إلى الاتحاد الذي أمر الله به جميع المسلمين، فقال: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾ أي: إياكم أن تتفرقوا؛ لأنّ ذلك يُنافي الاتحاد، فهذا التكوين له سُبل وأساليب لا بدّ أن نقوم بها حتى يُمكّن الله لعباده المؤمنين، هذا التكوين هو الذي قال الله عَزَّوَجَلَّ عنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾

[الرعد:١١]، فلا بدّ من التغيير؛ من المعصية إلى الطاعة، من الشرك إلى التوحيد، من البدعة إلى السنّة، لا بدّ من التغيير، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يأمرنا أن نكون كما كان الصحابة ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [آل عمران:١٠٤]، ولتكن، ليكن هنالك، لا بدّ من إيجاد هذه الأمّة، هذه الأمّة هي الطائفة الناجية المنصورة، هم العلماء وطلاب العلماء، هم الدعاة إلى الله، الذين يكوِّنون، والذين يُبيّنون، والذين يُوجدون أساليب ووسائل التمكين، الذي سيُمكّن الله عَزَّوَجَلَّ به، هذه سُنن الله الكونيّة، لا تتغيّر ولا تتبدّل.

فكما كوّن النبي ﷺ مكّن الله له، وكما كوّن الصحابة مكّن الله لهم، وفي غزوة بدرٍ قال نبينا ﷺ وهو في العريش الذي أُعدّ له عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، كان يبكي ويقول: «اللهم إن تهلك هذه العصابة[١] لا تُعبد في الأرض بعد اليوم»[٢]، أما إننا نعبد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ اليوم فهذا من فضل الله -سبحانه-، ثمّ بفضلهم؛ لأنهم كونوا هذه القاعدة العظيمة، وَمكّنوا لهذا الدين، مكّن الله لهم؛ لأنهم عملوا بهذه الوحدة، شهد الله لهم بذلك فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠]، إذا حرصنا على هذا التكوين فسوف يكون التمكين.

---

(١) يعني: الجماعة القليلة من الناس.

(٢) رواه مسلم (١٧٦٣).

والتمكين أمرٌ قدريّ من الله عَزَّوَجَلَّ، إذا قمنا بالأمر الدينيّ الشرعيّ، فلا بدّ أن نكوّن أن نوجد حتى يكون هناك ما وعد الله به، والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقول في كتابه، وانتبهوا إلى هذه الآيات، إلى أولها وإلى آخرها، يقول سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور:٥٤]، في هذه الآية الكريمة يأمر الله بطاعة الله وطاعة الرسول، هذا التكوين، يأمر الله ويُهدد ويتوعّد؛ فيقول: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا﴾ -أي: على الرسول ﷺ- ﴿مَا حُمِّلَ﴾ يعني البلاغ والبيان، ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْۖ﴾ من الطاعة والالتزام ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْۚ﴾، جعل الهداية مبنيّة على الطاعة، ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾ [النور:٥٥] من هم؟ الذين أطاعوا الله وأطاعوا الرسول، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾ هذا هو التمكين من مولانا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٥٥] ليجعلنّهم خلفاء لغيرهم من أهل الظلم والبطش، وأهل الكفر والنفاق والشرك، يجعلهم الله خلفاء الأرض، ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور:٥٥] يعني: من أهل الإيمان، ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور:٥٥]، ليمكّننّ لهم ويجعل لهم السلطان، ويجعل لهم الحكم في الأرض، ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ﴾ [النور:٥٥] الذي يُبدّل هو الله، بعد أن كانوا يخافون سوف يكونون في الأمان،

الأمان الذي وعد الله به أهل الإيمان إذا اجتنبوا الشرك، كما قال -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام:٨٢] أي: بشرك، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢] ، ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النور:٥٥]، هؤلاء الذين لا يعملون بما جاء به رسولنا ﷺ شبّه فعلهم -وهو الإعراض عن طاعة الله وطاعة الرسول- بفعل الكفّار؛ لأنّ الكفّار هم الذين لا يُطيعون الله ولا يطيعون الرسول، ولا يجوز للمسلم أبدًا أن يتشبّه بأعداء الله عَزَّوَجَلَّ من الكفّار والمشركين، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النور:٥٥-٥٦] -وأرجو الانتباه- ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [النور:٥٦].

في بداية الآيات قال: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ﴾ [النور:٥٤]، وقال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾ [النور:٥٤]، وفي آخر الآيات قال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾، ويرحمكم الله بالتمكين لكم في الأرض، كما كان النبي ﷺ في بداية الأمر، مكّن الله له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقال: «**نصرت بالرّعب مسيرة شهر**»(١).

والحقيقة هناك كلام جميل للإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢)، في تفسير هذه

---

(١) رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ٧٧).

الآيات: «هذا وعدٌ من الله -تعالى- لرسوله -صلوات الله عليه وسلامه- بأنه سيجعل أمّته خلفاء الأرض، أي: أئمة الناس، والولاة عليهم، وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، وليبدلنّهم من بعد خوفهم من الناس أمنًا، وحكمًا فيهم، وقد فعل تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذلك، وله الحمد والمنّة، فإنه ﷺ لم يمت حتى فتح الله عليه مكّة، وخيبر والبحرين، وسائر جزيرة العرب، وأرض اليمن بكمالها، وأخذ الجزية من مجوس هجر، ومن بعض أطراف الشام، وهاداه هرقل ملك الروم، وصاحب مصر والإسكندريّة -وهو المقوقس-، وملوك عمان، والنجاشيّ ملك الحبشة، الذي تملك بعد أصحمة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأكرمه-، ثمّ لمّا مات رسول الله ﷺ، واختار الله له ما عنده من الكرامة قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق، فلمّ شعث ما وهى عند موته ﷺ، وأخذ جزيرة العرب ومهدها، وبعث الجيوش الإسلاميّة إلى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ففتحوا طرفًا منها، وقتلوا خلقًا من أهلها، وجيشًا آخر صحبة أبي عبيدة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ومن معه، من الأمراء إلى بلاد الشام، وثالثًا صحبة عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى بلاد مصر؛ ففتح الله للجيش الشاميّ في أيامه بصرى ودمشق ومخاليفهما من بلاد حوران وما والاها، وتوفاه الله عَزَّوَجَلَّ، واختار له ما عنده من الكرامة، ومنّ على الإسلام وأهله بأن ألهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق.

فقام بالأمر بعده قيامًا تامًّا لم يدر الفلك بعد الأنبياء على مثله في قوّة سيرته، وكمال عدله، وتمّ في أيامه فتح البلاد الشاميّة بكمالها، وديار مصر إلى آخرها، وأكثر إقليم فارس، وكسر كسرى وأهانه غاية الهوان، وتقهقر إلى أقصى مملكته، وقصر قيصر وانتزع يده عن بلاد الشام، فانحدر إلى القسطنطينيّة، وأنفق أموالهما في سبيل الله كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله ﷺ؛ عليه من ربّه أتمّ سلام وأزكى صلاة.

ثمّ لمّا كانت الدولة العثمانيّة امتدت الممالك الإسلاميّة إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها، ففتحت بلاد المغرب إلى أقصى ما هنالك الأندلس وقبرص، وبلاد قيروان، وبلاد سبتة مما يلي البحر المحيط، ومن ناحية المشرق إلى أقصى بلاد الصين، وقُتل كسرى، وباد ملكه بالكليّة، وفتحت مدائن العراق وخرسان والأهواز، وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جدًا، وخذل الله ملكهم الأعظم خاقان، وجُبي الخراج من المشارق والمغارب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذلك ببركة تلاوته، ودراسته، وجمعه الأمّة على حفظ القرآن، ولهذا ثبت في الصحيح أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إنّ الله زوى لي الأرض**[(١)] **فرأيت مشارقها ومغاربها**

(١) أي: جمع وضمّ.

وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها»[١]، فها نحن نتقلّب فيما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، فنسأل الله الإيمان به وبرسوله، والقيام بشكره على الوجه الذي يُرضيه عنّا»، انتهى كلام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وانتهى كلامي بخصوص هذه التعريفات، التي وعد الله بالتمكين لمن حقّق معنى التكوين، وبذلك تكون الوحدة بين المسلمين، ولن تكون هناك وحدة -أيها الإخوة- إلا بهذا، والحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٨٩).

كلمة فضيلة الشيخ علي بن حسن الحلبي

جزى الله خيرًا فضيلة الشيخ على ما أجاد وأبان، على أنني أريد أن أُضيف شيئًا فيما يتعلّق بالمصطلحات، لأبيّن أنّ المصطلحات قد تتعدّد معانيها من غير تناقض، فحينئذٍ لا بأس في ذلك ولا شية فيه، أمّا إذا كان هنالك تنافر وتهاتر بين معاني المصطلح الواحد بحيث ينقض هذا غزل ذاك، فلا وألف لا، فمثلًا: مصطلح التكوين فسّره فضيلة الشيخ بالإيجاد، وهو معنىً صحيح جدًا، مع أنه لم يقع في قلبي لمّا قرأت هذا المصطلح، فلم أفهم من كلمة التكوين إلا النشأة، وكما قلت: أنا لا أرى تهاترًا وتنافرًا بين المعنيين، فالرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عندما قال: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق**»، أي: في أصل تكوينها، «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحقّ إلى قيام الساعة، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي الله بأمره وهم على ذلك**»[(١)]، من التكوين والنشأة والبدء، الذي هو في الحقيقة إيجاد، وكينونة وحقيقة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وما يعقُب ذلك من فتور، وانقباض، وبسط، وزيادة، ونقص، وما أشبه ذلك.

---

(١) رواه البخاري (٣٦٤١) ومسلم (١٩٢٠).

الحقيقة أنّ كلام الإمام ابن كثير جيّش -أو أجاش- في النفس عوالج عدّة، ومعاني متعددة؛ لأنه يكتب في وقتٍ كان للإسلام فيه صولته، وقوته، وعلياؤه، وكان للمسلمين فيه يدٌ باسطة، وقوّة طائلة، وما ذلك إلا بسبب ما أقاموه في أنفسهم من العدل، وما أقاموه في غيرهم من العدالة.

وشيخ الإسلام له كلمة في هذه الجزئيّة غالية وعزيزة، لكن قد لا يُدرك معناها إلا الأقلّون، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**إنّ الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ويخذُل الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة**»(١)؛ لأن العدل في الرعيّة أساس الملك، فما فائدة أن تحكم بالإسلام دعوى دون أن تكون قائمًا في الرعيّة بالعدل، لذلك ما سبق ذكره من تلكم الدعوة السبئيّة -نسبة إلى عبدالله بن سبأ-، وكيده الباطن في تأليب المسلمين على ولاتهم وحكّامهم؛ بالطعن فيهم والتشكيك بهم هو نفسه يتكرّر منذ أزمان وإلى هذا الزمان وبصور شتّى وألوان عدّة، طعن في الولاة، وطعن في العلماء والدعاة، طعن في النوايا، وطعن في الأعمال في صور شتّى لا يعلم نهايتها ومآلها إلا الله، ونحن نقرأ ونسمع وننظر في هذه المهزلة الجديدة التي قد يوجد فيها أحيانًا بعض اللقطات التي لا تخلو من فائدة، لكنّ جلَّها مهملات، وهو ما يُسمّى بـ(الإنترنت)، هذا الذي فيه مكانٌ لكلِّ من لا علم عنده، ولا عقل عنده -كما

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٦٣).

قلت- لا يخلو من لُقطة تكون خيرًا، لكنّ هذه اللُّقطة يذهب بهاؤها ونورها ونَوْرها بسبب ظلام وظُلم ما حولها، نقرأ من الدعاوى، ونقرأ من البهت، ونقرأ من الكذب، ونقرأ من الافتراء، ونقرأ من الظلم والظلام الشيء الكثير، الذي يؤذي النفوس، والقلوب، والعقول؛ لأنه لا رقيب ولا عتيد ولا حسيب، وكأنهم ينسون أو يتناسون قول الله -جلّ في علاه-: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧]، فيظنّون ولو بلسان الحال دون لسان المقال أنّ غاية أمرهم هذه الحياة الدنيا، وأين ما وراءها من القبر، فالبعث، فالنشور، فالحساب، فالثواب، فالعقاب ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٤].

كم سمعنا أنّ هذه الدعوة السلفيّة دعوةٌ نظريّة، دعوةٌ طويلة، دعوة مملّة، إلى غير ذلك من أوصاف التثبيط القائمة على الظلم، والتعدي، والجور، والتخذيل، بعيدًا عن النظرة النبويّة القائمة على التثبيت ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ [يونس:٤٦]، هذه آية من كتاب الله تبيّن الوسيلة، والغاية، والنتيجة، والثمرة، تبين طول الطريق -طريق الدعوة إلى الله-، وأنّ هذا كلّه -أعني الطول- والاستقامة عامل تثبيت لا عامل تثبيط.

والكلام في هذه الدعوة وطول طريقها على استقامته، وأنّ ذلك من مزاياها وخصائصها، وعلامات حُسنها شيءٌ ينبغي أن يبقى حيًّا في الأذهان، متحرِّكًا في القلوب والعقول، لا يغيب، ولا يزول، ولا ينمحي، ولكن لا بدّ

من وجود آليّة عمليّة تطبيقيّة لنحقق فيها هذه الوحدة، التي هي البُغية المنشودة، والدرّة المفقودة، كيف نُحقّق ذلك من جهة التكوين، سواء أكان ذلك بمعنى الإيجاد، أو بمعنى النشأة إلى برّ الأمان، وشاطئ الاطمئنان، الذي يكون فيه التمكين ولو بعد حين، هذا ما يُحدثنا عنه فضيلة الشيخ أبو اليسر، فليتفضل.

كلمة فضيلة الشيخ أحمد الخشاب (أبو اليسر)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

إخواني؛ إمام الدعوة السلفيّة في زماننا، وهو أعلم أهل هذا الزمان بهدي رسول الله ﷺ بشهادة أخيه عبدالعزيز بن عبدالله بن باز هو شيخنا العلامة محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، فقد شهد لشيخنا بالعلم الجمّ الوفير، وقال عنه: «**ما تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله ﷺ من أخينا الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني**»، وقال: «**ما تحت أديم السماء أعلم بالسنّة بهدي رسول الله ﷺ من أخينا الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني**».

وسُئل عن المجدّد للدين في هذا القرن، قال شيخنا عبدالعزيز بن باز: «**إن لم يكن أخونا الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني هو فلا أدري من هو**».

قال شيخُنا المُجدّد محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ، يُبيّن لنا كيف تكون الدعوة، كيف نبتدؤها، وكيف نصل إلى الوحدة، يقول: «**هذا يتلخّص في كلمتين: التصفية، والتربية**»، التصفية: نُصفي العقيدة من كلّ ما دخل فيها

مما ليس منها، من الشرك بجميع صوره، ويستدلُّ بقول الله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام:٨٢] لم يخلطوا إيمانهم بشرك، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢]، يُمكّن الله لهم، ويُبدّلهم من بعد خوفهم أمنًا، ولا يكون هذا الأمن إلا بالتمكين، فتصفية العقيدة مما علق فيها من جميع صور الشرك، وتصفية السنّة، تصفية الدين، تصفية الشريعة مما علق فيها من البدع والخرافات، تصفية الفهم؛ بأن يحرص كلّ مسلم على أن يفهم دين الله، الذي هو كتابٌ وسنّة بفهمٍ واحد، وهو أن نفهمه بفهم الصحابة، الذين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وقال: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ﴾ [البقرة:١٣٧]، هذه هي التصفية التي لا بدّ أن نكون عليها، تصفية للعقيدة، وأن نبتدئ بهذه التصفية، وقد صفّى علماؤنا، وما زال طلابهم يُصفّون ما كان في كتب السنّة مما ليس من هدي النبي ﷺ عقيدةً، واتباعًا، وأخلاقًا.

وعلى هذه التصفية التي قام بها علماؤنا، وطلاب العلم، الذين يسيرون على منهاجهم، يجب أن نُربي الأمّة على العلم الصحيح، وأن نبتدئ بأوّل شيءٍ وهو أن نربي الأمّة على التوحيد، كما فعل النبي ﷺ أرسل رسله من الصحابة، ومنهم معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال له -لمّا أرسله إلى اليمن-: «**إنّك ستأتي قومًا هم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه: لا إله إلا الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم أنّ الله فرض عليهم خمس صلوات في**

اليوم والليلة...»[١] الحديث، فلا بدّ من هذه البداية، فهذا واجب، ثمّ أن نُبيّن للناس ما هي سنّة النبي ﷺ قولًا، وفعلًا، وتقريرًا، وهذه السنّة لا بدّ أن تكون صحيحةً؛ لأنّ النبي ﷺ قال: «**من كذب عليّ متعمدًا فليتبوّأ مقعده من النار**»[٢]، وقال: «**من قال عليّ ما لم أقل فليتبوّأ مقعده من النار**»[٣]، وقال: «**من يقل عليّ ما لم أقل فليتبوّأ مقعده من النار**»[٤]، وقال: «**إنّ كذبًا عليّ ليس ككذب على أحد**»[٥]؛ لأنّ الكذب عليه كذبٌ على الله.

فلا بدّ أن نُقدّم للناس الصحيح، وأن نربيهم على الصحيح، وأن نُربي الناس على تزكية النفوس، والتي قال عنها ربُّنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [الجمعة:٢] يربيهم، يؤدبهم، يُهذبهم، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:٢]، التزكيةُ إنّما تكون قائمة على الكتاب والسنّة، أن نؤدب أنفسنا بما في كتاب ربنا، وبما في سنّة نبينا ﷺ الصحيحة، وإلا فخلاف ذلك ضلالٌ مبين.

---

(١) رواه البخاري (١٤٩٦) ومسلم (١٩).

(٢) رواه البخاري (١١٠) ومسلم (٣).

(٣) رواه الدارمي (٢٤٣) وأحمد (٢٢٥٣٨) وغيرهم.

(٤) رواه البخاري (١٠٩).

(٥) رواه البخاري (١٢٩١) ومسلم (٤).

وكان شيخنا -رحمه الله عليه- يقول: «**كنت أظنّ أنّ سبب فساد العالم يرجع إلى فساد الاعتقاد، وإنما هو يرجع إلى فساد الاعتقاد وفساد الأخلاق**»، فلا بدّ من تصحيح الاعتقاد، ولا بد من العمل على أن نتخلّق بأخلاق رسول الله ﷺ، الذي زكّاه ربُّه من فوق سبع سماوات، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]، وقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١]، فعلى هذا لا بدّ أن نتربّى، وأن نربي، بعد أن قدّم علماؤنا وأشياخنا التصفيّة فلا بدّ من التربية، والتربية الإعداد الذي أمر الله به في كتابه، فقال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:٦٠]، **والقوّة قوتان:**

قوّة معنويّة، وقوّة ماديّة، والأهمُّ هي القوّة المعنويّة، وهي القوّة الإيمانيّة، أن نكون على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وأمّا القوّة الماديّة فهي بحسب طاقتنا، واستطاعتنا، والله عَزَّوَجَلَّ أنزل ملائكةً كرامًا من السماء يقاتلون مع النبي ﷺ وأصحابه في غزوة بدر إكرامًا لهم، وقال -سبحانه-: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران:١٢٣]، فإذا حقّقنا هاتين الكلمتين الجليلتين فإنّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى سيُمكّن لنا ديننا الذي ارتضى لنا: تصفية وتربية لا غير، ولا سبيل إلى غيرهما، وغيرُهما سبيل الشيطان، سبيل الضلال،

سبيل جهنّم، بل سُبل الشيطان، سُبل جهنّم؛ لأنّ السبيل واحدة؛ هي هذه السبيل: تصفية وتربية، والحمد لله ربّ العالمين.

مدير الندوة فضيلة الشيخ علي بن حسن الحلبي

عودٌ ثانٍ وثالثٌ إلى قضية المصطلحات؛ لجلالتها، وكِبر قدرها، فكثيرٌ من الجماعات، والأحزاب المنتسبة إلى الإسلام والعمل الإسلامي -كما يُقال في لغة العصر- تتوهّم أنّ التمكين إنّما ينحصر بالمال، أو الملك، أو الحكم، أو الإدارة، فيجعلون جهودهم كلّها متوجهةً إلى الشؤون التي لها صلةٌ بالحكم، والقيادة، ويتطلّعون إلى مناطق السيادة، والمال، والسيطرة لتوهمهم أنّ التمكين لا يكون إلا بذلك، وهذا في الحقيقة من الخطأ بمكان، فنبيّ الله يوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال الله -تعالى- عنه: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [يوسف:٢١]، إذًا يوسف ممكن، مع أنه كان تحت ولاية حاكمٍ غير مسلم، فما هذا التمكين إذًا، وهو ليس في موضع الولاية، ولا في موضع السيادة، ولا في موضع الحكم؟

إنّه -والحالة هذه- تمكين الدعوة، وتمكين الكلمة الطيبة، وتمكين الكتاب والسنّة في النفوس، وتمكين الإيمان في القلوب، وتمكين لغة العلم في العقول، فإذا تمكّنت هذه المعاني، واكتملت تلكم المعالم كان هذا هو التمكين، أمّا ما وراءه ممّا يتطلّع إليه المتطلعون، ويشرئبُّ إليه بالأعناق

المشرئبُّون والمتطاولون، فليس هو من أهداف النبوّة، فضلًا عن أن يكون من أهداف أتباع النبي الأعظم ﷺ.

نقطة ثانية: أنّ فضيلة الشيخ -حفظه الله ونفع به- قد ذكر الشيخ الألباني، ولعلَّ غيرَ واحد من مشايخنا الذين سبقونا في هذا اليوم، وبخاصّة فضيلة الشيخ الدكتور محمد موسى نصر المدير التنفيذي لهذا الملتقى العلميّ -جزاه الله خيرًا-، لمّا تكلّم عن مركز الإمام الألباني، وعن شيخنا الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وما أشبه ذلك، وقد سمعنا الشيخ أبا اليسر يذكر الشيخ الألباني، ونحن لا نستبعد أن يكون بين هذه الجموع الطيبة -التي نسأل الله الخير لنا ولها، وأن لا تكون سبب غرّةٍ لنا ولها- أن يكون بعضٌ من الناس من لم يسمع بالشيخ الألباني مطلقًا، أو من سمع به ولكن لم يسمع كلمة الحقّ فيه، هذا ممكن -أيضًا-، الشيخ الألباني لم يجمعنا وإياه نسب، فهو أعجميٌّ من وسط أوروبا ونحن عرب من بلاد الشام، والشيخ الألباني لم يجمعنا وإياه من الدنيا سبب، أو لون، فهو ما شاء الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ أبيض وأشقر، ونحن سمر سود الشعور مع شيء من الشيب، إذًا؛ ما الذي جمعنا وإياه إلا هذا العلم! كما قال ابن سيرين: «**إنّ هذا العلم دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم**»، فوجدناه إمام هدى، وجدناه قد أثنى عليه من هم في طبقته ممن في دنيا الناس ينبغي أن يغاروا منه ويحسدوه، لكنّهم أنصفوه، وأقرُّوه؛ لأنّ الشمس لا

يُمكن أن تُغطّى بغربال، فعلم الشيخ، وجهده، وجهاده، وأثره، وآثاره، ومآثره قد ملأت الدنيا، والله عندما نذهب إلى الحجّ ونرى إخواننا المسلمين القادمين من أطراف الدنيا، من آسيا، وأوروبا، وأستراليا، وأمريكا الشماليّة والجنوبيّة، و... و... و...، نسمع ببلادٍ لم نسمع بها قبل هذا الوقت، إذا بالناس إذا عرفوا أننا من الأردن، أو من بلاد الشام، قالوا: هنيئًا لكم بالشيخ الألباني، الشيخ الألباني كتبهُ تطبع عندنا، وعلمه يُدرّس بيننا، فشيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم تكن هذه الصلة بيننا وبينه، ومعنا ومعه إلا بسبب هذا الدين، هذا الدين العظيم، الذي جعل أبا لهب القرشيّ ليس منّا ولسنا منه، والذي جعل سلمان الفارسي منّا ومنه، كما قال علي -ويُروى مرفوعًا ولا يصح-، قال علي: «سلمان منّا آل البيت»، سلمان أتى من وراء النهر يبحث عن الحق، ويبحث عن الحقيقة، يتطلّبها، ويُدركها، ورسول الله لا يعرفه، ولا يعلم عنه، ثمّ إذا به يُسلم بين يديه، أبو طالب عرف الإسلام، وعرف محمدًا نبيّ الإسلام، وعرف الحقّ: «**يا عمّاه قل كلمة، قل: لا إله إلا الله**»[(١)]، يقولون له: أترغب عن ملّة آباءك وأجدادك، قال: «**بل ملّة عبدالمطلب**»، فمات عليها، قال ابن القيّم[(٢)]: «**كأنّ الله يقول: يا محمد! أنت تُريد أبا طالب**

---

(١) رواه البخاري (١٣٦٠) ومسلم (٢٤).

(٢) «الفوائد» (ص٤١).

وأنا أريد سلمان»، وهكذا شيخنا جاء من وسط أوروبا هربًا من الحكم الشيوعي الطاغي، هرب به أبوه وهو بعدُ في سن صغير إلى بلاد الشام إلى دمشق، فحبّب الله إليه العلم، وحبّب إليه من العلم السنّة، وحبّب إليه في السنّة نشرها، فكان منه ما كان، حتى وفّقه الله بصورة وطريقةٍ لا يعلمها إلا هو لتكون خاتمة حياته في هذه البلاد الطيبة، التي -ولله الحمد- آوته، ونصرته، ورفعته، وآواها، ونصرها، ورفعها، وكان سدًا منيعًا أمام أهل البدع، وأهل الغلو، وأهل التطرُّف، ممن انحرفوا وانجرفوا، فكان صوته هو الصوت العالي بالحق، والمرتفع بالهدى، هذا شيخ الإسلام في هذا العصر، وكذلك كان شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية الحرّاني النميري الدمشقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العصر السابق، كان أنموذجًا عاليًا في سيرة حياته التي اجتاحتها كثير من الاضطرابات، وكثير من الفتن والأمور المشكلات، ومع ذلك بقي صامدًا في سبيل وحدته، وتوحيده، ودعوته ثابتًا على الحق مع إقرار بولاية أولي الأمر والجماعة.

ونسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في ختام هذا اليوم الأول من أيام الملتقى العلمي الثاني لمركز الإمام الألباني أن ينفع الله بنا وينفعنا، وينفع بكم وينفعكم، إنه -سبحانه- ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الندوة الثانية

وحدة المسلمين

بين الأفهام والأبدان

مدير الندوة:

فضيلة الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان

شارك في الندوة:

فضيلة الشيخ الدكتور محمد موسى نصر

فضيلة الشيخ محمد الحمود النجدي

مدير الندوة فضيلة الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان

إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدِ الله فهو المهتد، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله وحده لا شريك له.

وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، **أمّا بعد:**

فيطيب لمركز الإمام الألباني استضافة إخواننا فضيلة المشايخ، الذين تجشّموا أعباء السفر، والسفر قطعة من عذاب، لما فيه من مفارقة العادات والأحباب، وجاؤونا من بلدان عدّة؛ من مصر، والكويت، وفلسطين الحبيبة -أعادها الله إلى حظيرة الإسلام والمسلمين-.

يُشارك معنا في ندوتنا هذه فضيلة الشيخين: الأخ محمد الحمود النجدي الكويتي، وهو أخ كريم، وباحث، وعالم، ومطّلعٌ، صاحب المصنفات البديعة، والتحقيقات المليحة، وأخونا الفاضل؛ فضيلة الشيخ أبو أنس محمد بن موسى آل نصر، المتخصص في علم القراءات وأحكام القرآن، ومدير هذا الملتقى، الملتقى الثاني لمركز الإمام الألباني.

إخواني، أخواتي؛ عنوان ندوتنا: «**وحدة المسلمين بين الأفهام والأبدان**»،

ومعرفة هذا الموضوع أمرٌ ضروري جدًا، ودونه يقع التخبُّط، وعدم وضوح الرؤية، ولا سيّما في العمل الشرعي للإسلام، والبناء الصحيح، وتنقلب دون معرفة أهميّة اجتماع الأفهام قبل الأبدان، تنقلب الغايات إلى وسائل، وربما تنقلب الوسائل إلى غايات، وتضيع الأهداف، ويُمارس النشاط بصورة فيها مجاراة للحزبيين، وأعني ههنا بالحزبيين: أصحاب الفكر الأرضي، الوضعي، البشري، وكم كان لهؤلاء من أثر في صفوف الحزبيين الزاعمين أنهم عاملون للإسلام؛ فإنهم سابقوهم وزاحموهم في القرن المنصرم، ولا سيما في النصف الثاني منه في أخذهم منهم كثيرًا من الطرائق ووسائل التغيير، فما دخلت على الإسلاميين المظاهرات، والاعتصامات، والانقلابات إلا من خلال أصحاب الأفكار الأرضيّة، فوجد العاملون للإسلام بجهلٍ، وعدم تأصيل علميّ، وجدوا هؤلاء يفعلون هذه الوسائل فجاروهم، ولا بدّ من عقد سلطان الولاء والبراء، والحب والبغض على الحقائق الشرعيّة، لا على أسماء وأطر، وشارات حزبيّة، فينبغي أن تكون الطاعة خالصةً لله، وينبغي أن نعمل جادّين مشمِّرين على تحقيق الولاية لله، ولرسوله ﷺ، وللمؤمنين، وقد يخطر في بال الأخ المستمع: هل يوجد أناس يأخذون من هؤلاء -أصحاب الأفكار الأرضيّة، الحزبيّة، البعثيّة، والقوميّة، واليساريّة، والشيوعيّة-، هل ينطلي أمر هؤلاء على أهل الصلاح والتقوى،

والعمل للإسلام، وأجيب على هذا الاستفسار: بأنّ التّعصُّب -قديمًا وحديثًا- للمذاهب، والطرق، والأشخاص، والهيئات، وللدعوات والحركات، أصله أمران اثنان:

الأمر الأول: إنّ من طباع البشر، وأخلاقهم أن لا يجتمعوا إلا إذا اعتقدوا أنّ الشيء الذي اجتمعوا عليه فيه نفع لهم، وقد يكون هذا الاعتقاد لبعضهم عن نظر واستدلال، أو تجربة واختبار، وللبعض الآخر عن اتباع وتقليد لمن اعتقدوا فيه الفضل والكمال.

والسبب الثاني: إنّ من طبعهم كذلك أن يأخذوا ما ألفوه بالرضى، والتسليم، والقبول، ويأنسوا به، فإذا وجدوا مخالفًا لهم فيه تعصبوا لما هم عليه، ووجهوا قواهم إلى استنباط ما يؤيده ويثبته، ويدفع عنه هجمات المخالفين لهم فيه، لا يلتفتون في ذلك إلى تحري الحق، واستبانة الصواب فيما تنازعوا فيه، ولولا فُشُوُّ هذا الخلق في الناس، لما بقيت الأديان، والمذاهب، والأحزاب، والشيع، والحقُّ في كلٍّ منها واحدٌ، لا تعدُّد فيه، وهنا مسألةٌ لا بدّ من التصريح بها، ولا بدَّ من إيضاحها إيضاحًا بينًا.

إنّ على العاملين للإسلام في أطر حزبيّة، وشارات دعويّة في هذا العصر تصحيح كثير من مفاهيمهم وتصوراتهم تجاه قاداتهم ومسؤوليهم، وتجاه أطرهم، وتنظيماتهم، ودعواتهم، واصطلاحاتهم، وتجاه سائر المسلمين، وما

لم تُصحّح هذه المفاهيم فإنّ ذلك يعني ترسيخ العوائق التي تفرق القلوب، وتحول دون الوحدة، ولذا كانت هذه الندوة، فما لم تظهر وتتحقّق وتُصحّح هذه المفاهيم، فإنّ العوائق تكون حاصلةً، وهي تفرّق القلوب، وتشتّت الجهود، وتمنع من الاستفادة الجادّة البصيرة من تجارب العلماء الربانيين المصلحين.

وإنّ من جملة ما يجب تصحيحه لدى الكثرة الكاثرة من أبناء هؤلاء، ينبغي تصحيح مفهوم الجماعة، الجماعة الواردة في كثيرٍ من النصوص الشرعيّة، ورأينا أن نبتدأ ندوتنا هذه بأن يُحدثنا أخونا الفاضل، فضيلة الشيخ محمد الحمود النجدي عن مفهوم الجماعة التي يجب على المسلم أن يلتزمها، فليتفضّل مشكورًا مأجورًا.

كلمة فضيلة

الشيخ محمد الحمود النجدي

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين،

أمّا بعد:

أولًا عباد الله؛ إنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد أوصانا جميعًا بأن نعتصم بكتابه، وسنّة رسوله ﷺ، وأن لا نتقدّم بين يدي الله -تعالى- ورسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بحكمٍ، أو برأيٍ، أو بعقلٍ، أو هوى، أو عادةٍ، أو عرف؛ لأنّ هذا يُخالف التسليم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والإسلام إنما هو الاستسلام لله، ثمّ إنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد أوصى عباده بأن لا يختلفوا على أصحابه، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾، وذكر الإمام السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «مفتاح الجنّة»[1] أنّ رجلًا جاء إلى الإمام الشافعي فسأله: ما الدليل على أنّ الإجماع حجّة؟ فقال له الإمام الشافعي: أمهلني ثلاثًا، فجاءه بعد ثلاث،

---

(١) (ص٤١).

فقال له: إنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥]، فلم يصله جهنّم إلا على خلاف الواجب.

أقول هذا منبهًا -أيها الإخوة- ورابطًا بين هذا وبين قول الرسول ﷺ: «وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، هي الجماعة»(١)، وفي رواية قال: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»(٢)، وذكر أهل العلم معنى الجماعة المرادة في هذا الحديث، فذكر الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أنّ فيها أقوالًا أربعة:**

القول الأول: أنها السواد الأعظم.

والقول الثاني: أنهم صحابة رسول الله ﷺ.

والقول الثالث: أنهم أهل العلم والفقه.

والقول الرابع: أنهم الجماعة المسلمة التي اتفقت على إمام لها، أو بايعت إمامًا لها، جماعة المسلمين.

أمّا القول بأنّ الجماعة هي السواد الأعظم، فهذا لا يعني الكثرة، كما بيّن أهل العلم؛ لأنّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد أخبر بأنّ الكثرة الكاثرة لا تتبع الحق ﴿وَإِن

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام:١١٦]، ويقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣]، ويقول: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ﴾ [ص:٢٤]، لكنّ المقصود بالسواد الأعظم هم علماء المسلمين، وفقهاؤهم، المتبعون، القائمون بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فمن أطاعهم وسلك سبيلهم فهو من السواد الأعظم، ومن خالفهم وشذّ عنهم فقد خرج عن السواد الأعظم.

أمّا القول الثاني: وهو أنّ المراد بالجماعة جماعة أصحاب رسول الله ﷺ، فلا شكّ أنّ صحابة رسول الله ﷺ هم أول من يدخل في معنى الجماعة؛ لأنّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد أثنى عليهم، وزكّاهم من فوق سبع سماوات، بل قد رضي الله -تعالى- عنهم وعمّن تبعهم، فقال -سبحانه-: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [التوبة:١٠٠]، فالله عَزَّوَجَلَّ أخبر برضاه عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم من المسلمين، فإنّ الله -تعالى- يرضى عنه، فإذا أردت طريقةً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، إذا أردت فهمًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقبله فعليك بفهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وعليك بطريقتهم وبسبيلهم؛ لأنّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد شهد له بالعدل، وبالحق، وبالهدى، فلا تتركه.

إذًا القول بأنّ الجماعةَ هم أصحاب رسول الله ﷺ لا يعني أنّ غيرهم لا

يدخل فيه -لا يدخل في مسمّى الجماعة-؛ لأنّ من تبعهم دخل في جماعتهم، والنبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أخبر أمّته بأنه يكون فيها اختلاف كثير: «**فإنه من يعش منكم بعدي**»[(١)] في حديث العرباض بن سارية المشهور، وهي الموعظة البليغة، وصفها الصحابي بأنها موعظة بليغة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقالوا: يا رسول الله! كأنها موعظة مودّع، فأوصنا، بماذا أوصاهم ﷺ؟ قال: «فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا»، وهذا من دلائل نبوّته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فما المخرج، قال: «فعليكم بسنتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنّ كلّ محدثةٍ بدعة»، فالنبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يوصي أمته باتباع جماعة صحابته، أو باتباع ما كان عليه جماعة الأصحاب -رضي الله عنهم وأرضاهم-، فإنّ هذا هو المخرج من الاختلاف.

القول الثالث لمعنى الجماعة: أنهم الجماعة المسلمة المتفقة على أمير لها أو إمام، يعني جماعة المسلمين، ولا شكّ أنّ هذا هو حال أكثر أهل السنّة؛ فإنهم لا ينازعون ولاة أمورهم الأمر، ولا يخرجون عليهم، بل يُناصحونهم، ويدعون لهم، ولا يدعون عليهم، انتبه؛ يدعون لهم ولا يدعون

---

(١) سبق تخريجه

عليهم، وينقل عن الفضيل بن عياض[١] أنه قال: «لو كانت لي دعوة صالحة لصرفتها للإمام»؛ لأنه يصلح بصلاحه خلق كثير، وهذه حال أئمة السلف وأهل السنّة؛ فإنهم كانوا يجتمعون على ولاتهم، ولا يُهيجون ولا يشجّعون على الخروج، فقد اجتمع الفقهاء إلى الإمام أحمد في عصر الواثق، وذكروا له أنّ الأمر قد تفاقم -يعني: القول بخلق القرآن-، فقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عليكم بالسنّة، واتباع ولاة الأمور حتى ينقضي هذا الأمر»، فيكتب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الخلاص للبعض، ويستراح من الفاجر.

القول الأخير لمعنى الجماعة: أنهم فقهاء المسلمين، وأئمة الدين، ومن دارت على أقوالهم الفتيا بين المسلمين، أنّ هؤلاء هم الجماعة، وهذا القول -كما تلاحظون- لا يخرج عن الأقوال السابقة؛ لأنّ أئمة المسلمين، وأهل الفتيا، وأهل الدين لا يخرجون عن فهوم صحابة رسول الله ﷺ، بل هم الأصل وهم لهم تبع، ورحم الله -تعالى- ورضي الله عن الصحابي الجليل ابن مسعود إذ يقول: «**من كان منكم مستنًا فليستنّ بمن قد مات فإنّ الحيَّ لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا أبرَّ الأمّة قلوبًا، وأعمقهم علمًا، وأقلّهم تكلفًا، قومٌ اختارهم الله -تعالى- لصحبة نبيه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وفي أخلاقهم، وفي دينهم، فإنّهم**

---

(١) «حلية الأولياء» (٨/ ٩١).

كانوا على الهدى المستقيم»[(١)]، فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم أولى الناس بالاتباع، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، والله -تعالى- أعلم.

(١) «جامع بيان العلم» (١٨١٠).

مدير الندوة فضيلة الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان

جزى الله أخانا على هذا البيان المهم خيرًا، فقد بيّن أنّ الجماعة لها عدة معانٍ، وهذه المعاني مؤتلفة وليست بمختلفة، ويجمعها القول بأنّ الجماعة هي أهل السنّة والجماعة، تأملوا معي (أهل السنّة والجماعة)، نقيض السنّة: البدعة، نقيض الجماعة: الفرقة، فهؤلاء العوام والدهماء والسواد الأعظم يجتمعون على علمائهم، فهم أهل سنّة، ويجتمعون على أمرائهم، ولا يختلفون، فهم أهل جماعة، فالأقوال مؤتلفة وليست بمختلفة.

وقد ورد عن غير واحد من أهل العلم ابتداءً من أصحاب رسول الله ﷺ وانتهاءً بجمعٍ من المحررين المحققين من العلماء الربانيين أنهم فسروا الجماعة بالعلماء، أو الصحابة، أو الأمراء، ويريدون الأعيان، والبقيّة يتبعون، فالناس كما قال أبو بكر الورّاق ثلاثة: أمراء، وعلماء، وفقراء، قال: «**فإذا فسد الفقراء فسدت الأخلاق، وإذا فسد الأمراء فسدت المعيشة، وإذا فسد العلماء فسُدَ الدين**»، فالناس تبعٌ لعلمائهم في شؤون دينهم، ولأمرائهم في شؤون معيشتهم وحياتهم، قال الإمام الترمذي مثلًا في كتاب الفتن من جامعه، تحت باب (ما جاء في لزوم الجماعة)، قال بعد أن أسند بعض

الأحاديث فيها ذكر للجماعة، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتفسير الجماعة عند أهل العلم هم أهل الفقه والعلم والحديث»، وأسند الترمذي[١] عن ابن المبارك أنه قيل له: من الجماعة الذين ينبغي أن يُقتدى بهم؟ فقال: «أبو بكر وعمر»، قال: فلم يزل يحصر -يضيّق- حتى انتهى إلى محمد بن ثابت، والحسين بن واقد -وهم من علماء الحديث-، فقيل: هؤلاء أموات، فمن من الأحياء؟ فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أبو حمزة السكري»[٢].

وقال الإمام الشاطبيّ في كتابه «الاعتصام»: «وحاصله أنّ الجماعة راجعةٌ إلى الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنّة، وذلك ظاهر في أنّ الاجتماع على غير سنّة خارج عن معنى الجماعة المذكورة في الأحاديث كالخوارج ومن نحى نحوهم».

وأسند أبو نُعيم في «الحلية» إلى إسحاق بن راهويه، قال: «لو سألت الجهّال عن السواد الأعظم، قالوا: جماعة الناس، ولا يعلمون أنّ الجماعة عالمٌ متمسّك بأثر النبي ﷺ وطريقته، فمن كان معه وتبعه فهو الجماعة»، قال الإمام الشاطبي (٣/ ٣١٥) من كتابه «الاعتصام»، وتأملوا قوله، قال: «فانظر في أثر بيّن، غير من ظنّ أنّ الجماعة هي جماعة الناس، وإن لم يكن

---

(١) «سنن الترمذي» (٢١٦٧).

(٢) هو محمد بن ميمون، أخرج له الجماعة، وهو ثقة فاضل.

فيهم عالم، فهو فهم العوام»، العوام يظنون أنّ الجماعة مجرد اجتماع أبدان، قال: «وهو فهم العوام»، أمّا فهم العلماء فالاجتماع على العلماء، قال: «فليُثبت الموفق قدمه في هذه المزلة، لئلا يضلّ عن سواء السبيل، ولا توفيق إلا بالله».

عودٌ على بدء أقول: يجب على العاملين الحزبيين تصحيح ما ورثوه من معنىً يُخالف ما سمعناه من أدلةٍ وآثار، والقصّة في تغيير هذا المفهوم – مفهوم الجماعة– إنما جاءت من انقطاع الصلة بالعلماء، ووجود الاستعمار، ووجود الغيرة في نفوس بعض المصلحين، لكن لمّا هبُّوا وقاموا دون تأصيل علميّ، ومن أمام تقريرات العلماء، وحاولوا جاهدين إعادة الثقة بالإسلام، وأنه منهج حياة متكامل، بعد أن كادت تهتز هذه الحقيقة في القلوب والعقول استجاب عدد من الناس لهم، وتجمعوا حولهم، وظهرت هذه الأحزاب، وكان طبيعيًّا أن يتحرّك هؤلاء باتجاه دعوة المسلمين، وضمّ جهودهم إلى حركاتهم وشاراتهم، ولكي يقيموا الدليل على وجوب التعاون عمدوا إلى نصوص الجماعة، وفهموها على غير مرادها، وحرّفوها، وبلا شك أنّ إبراز النصوص في ظروف شاذّة ليس أمرًا سهلًا، فهذا العمل ممن ليس لديه تأصيل علمي، تأصيل قائم على الكتاب والسنّة بفهم سلف الأمّة يولد طامات، وويلات، وهذا الذي وقع، وانشق عن هؤلاء جماعات

التكفير والهجرة.

يا إخوة! متى انضبطت الجماعة في نفس الإنسان ضبطًا شرعيًّا، على وفق ما سمعتم فإنه -إن شاء الله تعالى- يبقى على الجادّة، ويبتعد عن التهييج، ويبتعد عن التكفير، وبسبب تراكم الغفلة والجهل والظلم تولّد من ذلك التزاوج ذلك الضلال المبين.

بات من الضروري بمكان أن نعرف صفات منهج أهل السنّة المترتبة على المعنى الشرعي للجماعة، وهذا ما يُحدثنا عنه فضيلة الشيخ أبو أنس محمد موس نصر، فليتفضل مشكورًا.

كلمة فضيلة الشيخ الدكتور محمد موسى نصر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه:

لقد تقدّم في كلام فضيلة الشيخين، أصحاب الفضيلة تعريفٌ لأهل السنّة، وتعريفٌ للجماعة، وأنّ أهل السنّة هم الذين سلكوا الجادّة، واتّبعوا الرسول ﷺ ظاهرًا وباطنًا، عقيدةً ومنهجًا، وعلمًا وعملًا، وكل من خرج عن سبيلهم، وعن صراط الله المستقيم، الذي قال الله عَزَّوَجَلَّ فيه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]، فبيّن ربُّنا جَلَّجَلَالُهُ أنّ سبيل الحقّ واحد، لا يتعدّد، وأنّ سُبل الشيطان كثيرة، وسُبل الباطل كثيرة، فكلُّ من خرج عن صراط الله المستقيم، عن الكتاب والسنّة، وعن منهج سلف الأمّة، الذين هم أساسه، أهل السنّة والجماعة، فأهل السنّة والجماعة في كل عصر ومصرٍ امتدادهم إلى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه، وإلى ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، حيث قال حينما ذكر الاختلاف والافتراق، وذكر أهل البدع والأهواء، وحذّر من سلوك سبلهم، حينما قال: «**كلها في النار إلا واحدة**»، قالوا: من هي يا رسول

الله؟ قال: «**هم الذين على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»[(١)]، ولهذا لا تصدّق كل من قال أنه من أهل السنّة والجماعة حتى نحاكمه إلى قول رسول الله ﷺ: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»، إن كان كذلك حقًا وصدقًا، فهو من أهل السنّة والجماعة، وإلا فالأشاعرة يدّعون أنهم من أهل السنّة والجماعة، وهم يُخالفون منهج أهل السنّة والجماعة في الصفات، وفي صلب عقيدتهم، والحزبيّون المعاصرون المهيجون، الخارجون، بل الدّاعون إلى التفجير والتكفير يُعَمُّون على الناس بأنهم أهل السنّة والجماعة، وقد يُطيلون لحاهم ويُقصِّرون ثيابهم؛ ليَلبسوا أقنعة زائفة يتخفوا باسم السنّة والسلفيّة، والسلفيّة منهم براء، فالشعارات إن لم توافق الحقيقة والحق والواقع فهي لا قيمة لها ولا وزن، وزماننا للأسف زمان غش وتدليس، وتلاعب بالألفاظ، وتلاعب بالشعارات، ولهذا أهل السنّة هم الجماعة، ولم يجتمعوا على هذا إلا لأنهم اتحدوا قبل أن يجتمعوا بأبدانهم اجتمعوا بأفهامهم.

وأعظم فهم جاءت به الأنبياء، أنزل الله به كتبه، وأرسل به رسله هو التوحيد، فكلّ أنبياء الله جاؤوا يقولون: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩]، ونبيكم ﷺ ظلّ ثلاث عشرة سنة وهو يقول: «**يا أيها الناس**

---

(١) رواه المروزي في «السنة» (ص٢٣) والآجري في «الشريعة» (١/ ٣٠٨) وابن بطة في «الإبانة» (٢٦٥).

قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»[(١)]؛ ولهذا إذا اختلف الناس في عقيدتهم، واختلفوا على منهج نبيهم فإنهم يتفرقون، وإن كانت أبدانهم مجتمعة لمصلحة، لوليمة، لمنافع ماديّة عاجلة، فهم كما قال الله عَزَّوَجَلَّ فيهم ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر:١٤]، فما أن ينفضوا حتى يطعن بعضهم بعضًا، ويلعن بعضهم بعضًا، ولهذا العبرة كما قال الإمام الشافعي ليست باجتماع الأبدان وإنما باجتماع الأفهام.

وإذا اجتمعت الأبدان على غير طاعة الله والرسول، وعلى غير تحليل ما أحلّ الله، وتحريم ما حرّم الله فلا خير فيها، لكنّ أهل السنّة والجماعة لهم صفات، ولهم شارات، لا أقول شارات كشارات الصوفيّة، فنحن إذا رأينا من يلبس العمامة الخضراء قلنا: هذا صوفي، نعرف مباشرة لأنهم يجتمعون على مثل هذه الشارات، وإذا رأينا نساءًا يلبسن جلابيب قصيرة إلى منتصف الساق، والسنّة للمرأة أن تجرّ ذيلها -وهذه سنّة ميتة-، نسأل الله أن تحييها النساء السلفيّات، قلنا: هذه طبّاعيّة، أو قلنا: هذه كذا، وكذا، ولهذا أصبحت الشارات دليلًا على الأفهام، حينما نرى إنسانًا قد ظهر في وجهه وفي صدره خدوش وجروح فنعلم أنه من هؤلاء الذين يُحيون الأحزان، ويضربون أجسادهم وأنفسهم بالحديد.

---

(١) رواه أحمد (١٦٦٠٣).

المهم -أيها الإخوة-؛ إنّ أهل السنّة والجماعة -ونعني بهم: أتباع السلف الصالح-، فإنه لا بد حينما نقول: أهل السنّة والجماعة أن نقول: الذين يفهمون بفهم السلف الصالح، وإلا؛ فلو قلنا إنّ كلّ من اتبع الكتاب والسنّة أصبح من أهل السنّة والجماعة، كل من ادعى ذلك من غير فهم السلف الصالح لضاعت الأمور.

من صفاتهم: إخلاص الدين لله، والمتابعة لرسول الله، واعتماد فهم السلف.

ومن صفاتهم: التعاون على البر والتقوى، والتواصل، والمحبّة، وموالاة المؤمنين، ومعاداة المشركين، فهم يعودون فيما اختلفوا فيه إلى قال الله، قال رسول الله، قال الصحابة.

من صفاتهم: الوسطيّة والاعتدال، وذم الغلو، لا إفراط ولا تفريط، ولا غلو، ولا تقصير.

من صفاتهم: التناصح، والحب في الله والبغض في الله، ومن صفاتهم التكامل وليس التآكل.

ومن صفاتهم -أيضًا-: أنهم يحرصون على الاجتماع والوحدة ويذمون الفرقة، فلا يحسد بعضهم بعضًا، وإنّما يغبط بعضهم بعضًا.

ومن صفاتهم -أيضًا-: أنهم يوالون كل سني سلفي ولو كان في أقصى

المشرق، لو كان عبدًا حبشيًا، ويبغضون كل بدعي خلفي ولو كان أقرب قريب، ولهذا ذكر الشيخ أبو المظفر السمعاني في صفاتهم، فقال -يرحمه الله-: «ومما يدل على أنّ أهل الحديث هم على الحق أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كلّ واحد منهم قطرًا من الأقطار وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، وخطٍّ واحد، يجرون فيه على طريقة واحدة، لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم واحد، ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافًا، ولا تفرقًا في شيء وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء من قلبٍ واحد، وجرى على لسانٍ واحد، وهل على الحقّ دليلٌ أبين من هذا.

وأمّا إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع رأيتهم متفرقين مختلفين، أو شيعًا وأحزابًا، ولا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد، يُبدّع بعضهم بعضًا، بل يرتقون إلى التكفير، يُكفّر الابن أباه، والرجل أخاه، والجار جاره، تراهم أبدًا في تنازع وتباغض واختلاف، تنقضي أعمارهم ولم تتفق كلمتهم، كما قال الله: ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا

يَعۡقِلُونَ ﴾ [الحشر:١٤]» [١].

وأختم قولي أننا كنّا نحن والمشايخ، في أمريكا، فسألنا سائل كنّا نزلنا عنده كل واحد على انفراد، فكل واحد أجاب نفس الجواب، فتعجّب الرجل، فقلنا له: لا تعجب فإننا تعلَّمنا على شيخ واحد، ولهذا لم تختلف كلمتنا؛ لأنّ الأصول واحدة، والحمد لله ربّ العالمين.

(١) «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٢٢٢).

مدير الندوة فضيلة الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان

جزى الله الشيخ على ما بيّن وأفاد، أقول: تبيّن لنا من كلمة فضيلة الشيخ: أنّ اجتماع الأفهام هو الأصل الجامع للمسلمين، ولا شكّ أنه لا يدخل أحد الإسلام إلا بالشهادتين (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمدًا رسول الله)، أشهد أن لا إله إلا الله أي: لا معبود بحقٍّ إلا الله، وأشهد أنّ محمدًا رسول الله أي: لا متبوع بحقٍّ إلا رسول الله، فمن اتبع شيخًا، أو حزبًا، أو سياسةً، أو هوىً، أو رأيًا، أو مصلحة، فهذا مخدوش الشهادة، مخدوش في قوله (وأشهد أنّ محمدًا رسول الله).

إنّ اجتماع الأفهام من أهم خصائص أهل السنّة، بل هو من أهم مقومات وخصائص الجماعة التي أمر الشرع بلزومها، ولا أكتمكم الخبر أنّ عنوان هذه الندوة مستوحىً من كلامٍ جليلٍ للإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه العظيم «الرسالة»، قال فيه (ص٤٧٥)، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فما معنى أمر النبي ﷺ بلزوم جماعتهم؟ قلت -وهو السائل والمجيب-: لا معنى له إلا واحد، قال: فكيف لا يحتمل إلا واحدًا؟ قلت: إذا كانت جماعتهم متفرقة في البلدان فلا يقدر أحد أن يلزم جماعة أبدان قومٍ متفرقين، وقد وجدت

الأبدان، تكون مجتمعة من المسلمين والكافرين، والأتقياء والفجّار، فلم يكن في لزوم الأبدان معنى؛ لأنه لا يمكن، ولأنّ اجتماع الأبدان لا يصنع شيئًا، فلم يكن للزوم جماعتهم معنى إلا ما عليهم جماعتهم من التحليل والتحريم، والطاعة فيهما، ومن قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم، ومن خالف ما تقول به جماعة المسلمين فقد خالف جماعتهم التي أُمِرَ بلزومها».

من خلال استعراض صفات منهج أهل السنّة، وهذه الصفات، ومنها: الابتعاد عن الابتداع، والموالاة والمعاداة في الله، والشمول، والوسطيّة، والاعتدال، والعلم، والثبات، الفاحص المتمعّن في هذه الصفات يجد أنها تعود إلى الفهم.

انظروا معي قول النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحقّ**»(١)، لم يقل (غالبين)، هم ظاهرون بحجتهم، فالمسألة مسألة فهم «**لا تزال طائفة**» هذه الطائفة مستمرة، فأيّ جماعة سألت عنها فوجدت لها ميلادًا وابتداءً ومؤسِّسًا فاعلم أنها ليست الجماعة التي أخبر عنها النبي ﷺ، ليست الجماعة -الطائفة المنصورة- «**لا تزال طائفة من أمتي**»، فهي باقية دائمة، فالأفهام قائدة والأبدان مقودة، ولهذا كان شيخنا الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان

(١) سبق تخريجه.

يُكثر من قوله: «**فقِّه ثمّ كتِّل**»، أي: فقِّه بجمع الأفهام، فجمع الأفهام سابق لجمع الأبدان، وتأملوا معي (أهل سنّة والجماعة)، وليس أهل جماعة وسنّة، جماعة على سنّة، اجتماع على سنّة، اجتماع على خير، وبلا شك أنّ هناك آثارًا سيئة كثيرة تترتّب على العناية باجتماع الأبدان دون العناية بالأفهام، وهذا ما يُحدثنا عنه فضيلة الشيخ محمد الحمود النجدي فليتفضل.

كلمة فضيلة

الشيخ محمد الحمود النجدي

الحمد لله، **وبعد:**

فقد يكون في بعض الكلام تكرار، لكنَّ التكرار فيه فائدة وفيه نفع، ولأجل هذا تكرّرت بعض قصص الأنبياء في القرآن كثيرًا، كقصة موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإنها تكرّرت سبع عشرة مرّة في الكتاب.

أقول -أيها الإخوة-: إنّ المقصود بالوحدة هو وحدة الفهم عن الله -تعالى- وعن رسوله ﷺ، وأنّ هذا لا يُمكن أن ي

تحقّق دون أن نجتمع على فهم الصحابة -رضي الله عنهم وأرضاهم-، الذي جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الرضا على من اتبعه، أو فيمن اتبعه.

ونزيد فنقول: أنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد اشترطه شرطًا للهداية، فقال -عزَّ من قائل-: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾ [البقرة:١٣٧]، يُخاطب أصحاب النبي ﷺ متحدثًا عن أهل الكتاب ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ أنتم يا أصحاب رسول الله، فقد اهتدوا ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٣٧]، فالله عَزَّوَجَلَّ قد اشترط

للهدايةِ شرطًا؛ وهو أن تكون هدايتنا بمثل ما اهتدى به سلفنا الأوائل، الرعيل الأول من هذه الأمّة، كيف فهموا التوحيد، كيف فهموا صفات الله عَزَّوَجَلَّ، كيف جروا في تفسير كتاب الله -سبحانه-.

وقبل أن آتي إلى هذه الندوة المباركة أعطاني أحد الإخوة كتابًا لدكتور، يتبع منهج الخلف في أسماء الله -تعالى- وصفاته، كان يُبوّب الكتاب على هذا النمط، شُبهة اليدين، شُبهة العينين، شُبهة الوجه، شُبهة الضحك، شُبهة العجب، وسر على هذا المنوال، فجعل إثبات الصفات من الشبهات، أو قل من المتشابهات، لكنه وضعها على هذه الصورة، **فنقول:**

أولًا: ينبغي أن يكون توحيدنا كتوحيد النبي ﷺ، وكيف نعلم أنّ توحيدنا كتوحيده عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؟ نقول: بالأخذ عن تلامذته، وعن أصحابه، إذ كان هو عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إمامهم، وقدوتهم، ومربيهم، ومعلمهم، فإن نحن أخذنا بما كانوا عليه فقد اهتدينا، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ في الآية السابقة، وهكذا الفهم عنهم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ فيما يتعلّق بالعمليّات؛ فالدين علميّات وعمليّات، والكل مأخوذ عنهم -رضي الله عنهم وأرضاهم-، فإنهم كانوا شديدي المتابعة والملاحظة لرسول الله ﷺ، والنبيّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يستحثّهم على ذلك، فيقول: «**صلّوا كما رأيتموني أصلي**»[(١)]، ويقول لهم: «خذوا عني

---

(١) رواه البخاري (٦٣١).

مناسككم»[(١)]، وصلّى مرّة على المنبر بمكان مرتفع، فقال: «إنّما فعلت هذا لتأتمّوا بي ولتعلموا صلاتي»[(٢)]، فنأخذ عنهم العمليّات كما نأخذ عنهم العلميّات، وهما ركنا الدين الأعظم: التوحيد، والاتباع، توحيد المعبود سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتوحيد المتبوع وهو رسول الله ﷺ.

والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات:١-٢]، هذه آداب أدّب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها الأمّة، فالمطلوب -أيها الإخوة- هو اجتماع الفهم، ووضع القواعد في هذا الباب، وإلا فالفهوم كثيرة، فإنّ المعتزلة لهم فهم، والجهميّة لهم فهم، والخوارج لهم فهم، والمرجئة، والقدريّة، وغيرهم لهم فهوم، فما هو الفهم الذي هو حجّة عليَّ وعليك وعلى سائر المسلمين، وهو الذي نزن به زلّة القدم، أو استقامتها، فهمُ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، هو الحجّة في هذا الباب، وهو القاضي.

فإنّ الأوائل من الخوارج استنكفوا أن يطلبوا العلم من صحابة رسول الله ﷺ، فقالوا: نأخذ من الكتاب مباشرة، عندنا كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنّة رسوله ﷺ، لا نأخذ عن أصحاب نبيه، فادّعوا الاستغناء عن الصحابة، فوقعوا في

---

(١) رواه مسلم (١٢٩٧).

(٢) رواه البخاري (٣٧٧) ومسلم (٥٤٤).

أخطاء شنيعة، كما قال عبدالله بن عمر الصحابيّ الجليل، وفقيه من فقهاء الرعيل الأول، يقول عنهم -عن الخوارج-: «إنهم ذهبوا إلى آياتٍ نزلت في المشركين فجعلوها -أو وضعوها- في المسلمين»(١)، وما السبب في هذا؟ هو قلّة الفهم، ضعف الرأي، الخلل في معرفة مراد الله -تعالى- ومراد رسوله ﷺ، ولهذا كانوا يردّون على الصحابة في أحاديث الشفاعة، وأنه يخرج من النار من قال: (لا إله إلا الله) مخلصًا بها من قلبه، كانوا يردون هذه الأحاديث ولا يعتبرونها.

وأمّا وحدة الأبدان فهو ليس المطلوب، الدليل على هذا أمران -كما ذكر أخونا الشيخ مشهور- من كلام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **لسببين:**

السبب الأول: أنّ وحدة الأبدان غير مستطاعة؛ لأننا لا نستطيع أن نجمع أبدان المؤمنين في مكان واحد من هذا العالم كلّه، هذا غير متيسّر، ومتعذّر، ولم يأمر به الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الأمر الثاني: أننا لو اجتمعنا بأبداننا، وكنّا مختلفين فما الفائدة من هذا الاجتماع بالأبدان، ما رأيكم باجتماع المسلمين مع الكافرين والمنافقين في مكان واحد، ماذا يغني عنهم؟ لا يُغني عنهم شيئًا؛ إذن المراد هو اجتماع

---

(١) البخاري قبل رقم (٦٩٣٠) معلَّقًا.

الفهم عن الله -تعالى-، وعن رسوله ﷺ، ولا يتحقّق هذا إلا بميزان فهم سلف الأمّة -رضي الله عنهم وأرضاهم-.

مدير الندوة فضيلة الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان

جزى الله أخانا خيرًا على هذا البيان الماتع، والوقت ضاق، ولكن لا بدّ من كلمة، إنه عندما نعتني باتحاد الأفهام يكون حينئذ الالتزام بالإسلام بمفاهيمه، ومبادئه، لا بالأشخاص، ولا بالأوامر الحزبيّة، والكارثة، والخلل، والأمراض، والعلل تتسلّلُ من خلال العدول عن هذا المقياس، وحين العناية بالأفهام، وتوحيد الأفهام، فحينئذ فقط تُخلع العصمة الكاذبة عن بعض الأشخاص، والمسوغات المضحكةُ التي توضع لأخطائهم، وتصرفاتهم، ومواقفهم، وحينها تزول العصبيّة لفئة أو شخص، التي لا تظهر إلا في حالة الانهزام العقلي والنفسي، وعدم الإبصار الصحيح، وكيف يتحرّر بدنٌ يحمل عقلًا عبدًا؟! وحينها توضع الأمور في نصابها، ولا تعتبر عمليّة المناصحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لهؤلاء من قبل هؤلاء تشويشًا، ولا تهويشًا، وتمزيقًا للصف والوحدة.

وحينها فقط نبتعد عن التشرذم والطائفيّات الجديدة، التي تتمزّق على بقعتها -أو على أرضها- رقعة التفكير، وتنموا الجزئيّات، وتغيب الكليّات، ويضطرب سلّم الأولويّات، وحينها تتغلّب دراسة أسباب التقصير على

عمليّة صناعة التسويغ والتبرير، وحينها تغيب كثيرٌ من المصطلحات السيئة على من فارق حزبًا ما لخلافٍ من مثل قولهم وساء ما قالوا: (سقط على الطريق)، لبعض المعاصرين كتاب: «الساقطون على الطريق»، وترجم فيه لبعض الصحابة -فلا حول ولا قوّة إلا بالله-، وحينها لا يتوقّف العمل الصحيح الجاد المنتج، ولا نتمحور حول أشخاص، لا تُرى القضايا إلا من خلالهم، وحينها لا يكون مجال للباقة، ولا للمصلحة، ولا للكياسة، ولا للسياسة، ولا للمهارة، ولا للمداهنة، ولا للتمويه، في إخفاء ما يُحرج، وتغطية ما يسوء.

في نهاية هذه الندوة نصل إلى نقطتها الأخيرة، ويُحدثنا فضيلة الشيخ أبو أنس -حفظه الله- عن ذم التفرّق، والمراد منه، والعلاقة بين اجتماع الأفهام والأبدان، فليتفضّل مشكورًا.

كلمة فضيلة

الشيخ الدكتور محمد بن موسى آل نصر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه:

فالتّفرّق -أيها الإخوة- هو التنازع والاختلاف، والفشل الناشئ عن الخروج عن السنّة والجماعة في أصل أو أكثر من أصول الدين الاعتقاديّة، أو التعبديّة، به يخرج صاحبه عن منهج أهل السنّة والجماعة بدافع الجهل أو الهوى، أو التّعصُّب، قال الله -تعالى-: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

وقد خطّ النبي ﷺ خطًّا طويلًا مستقيمًا، وخطّ خطوطًا عن الشمال واليمين كثيرة، وتلا الآية، وقال: «**هذا صراط الله، وهذه سُبل على كلّ سبيل شيطان يدعو لنفسه**»(١)، فسّر التابعي الجليل مجاهد السُّبل بالبدع، والشبهات، والضلالات.

---

(١) رواه الدارمي (٢٠٨) وغيره.

قال الشاطبي -يرحمه الله-: «**فالسبيل الواحد لا يقتضي الافتراق، بخلاف السبل المختلفة**»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «**البدعة مقرونة بالفُرقة كما أنّ السنّة مقرونة بالجماعة، فيُقال: أهل السنّة والجماعة، كما يُقال: أهل البدعة والفرقة**»(٢).

قال الله -جلّ ذكره- ذامًّا التفرُّق: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الأنعام:١٥٩]، قال الإمام البغوي: «**هم أهل البدعة والأهواء**»(٣).

ولهذا كان أهل الحقّ -كما يقول ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس فيهم اختلاف، فالفرقة -كما قال الشاطبي- من أخس أوصاف المبتدعة.

قال الله -جلّ ثناؤه، وتقدّست أسماؤه-: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ﴾ [هود:١١٨]، قال الخليفة عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «خلق الله أهل رحمته لئلا يختلفوا»(٤)، وقال الإمام مالك: «الذين رحمهم الله لم

---

(١) «الاعتصام» (٢/ ٧٥٦).

(٢) «الاستقامة» (١/ ٤٢).

(٣) «تفسير البغوي» (٦/ ٢٧١).

(٤) «الهداية» (٥/ ٣٤٨٩)؛ لمكي بن أبي طالب

يختلفوا»[١].

وقد فسّر شيخ الإسلام أهل الرحمة بقوله: «هم أتباع الأنبياء قولًا وفعلًا، وهم أهل القرآن والحديث من هذه الأمّة، فمن خالفهم في شيء فاته من الرحمة بقدر ذلك»[٢].

فأهل الرحمة هم أهل السنّة والحديث، -وأنتم إن شاء الله من أهل الرحمة-؛ لأنكم على الكتاب والسنّة، وتكرهون الفرقة والبدعة -نحسبكم ولا نزكيكم على الله-.

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٠٥]، قال الإمام المزني: «فذمَّ الله الاختلاف، وأمر عنده بالرجوع إلى الكتاب والسنّة، فلو كان الاختلاف من دينه ما ذمّه، ولو كان التنازع من حكمه ما أمرهم بالرجوع عنده إلى الكتاب والسنّة»، وقد أعقب الله عَزَّوَجَلَّ هذه الآية بقوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦]، وبالأمس سبق أنّ الابيضاض يكون للموحدين وأهل السنّة، والاسوداد يكون لوجوه الكافرين وأهل البدع.

وأمر الله -تعالى- بالاعتصام بحبله، فقال: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا

---

(١) «الاعتصام» (١/ ٨٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٥٢).

وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «**الاعتصام بحبل الله جميعًا، وألا يتفرَّقوا من أعظم أصول الإسلام، ومما عظمت وصيّة الله - تعالى- به في كتابه**»(١).

عن سماك بن الوليد أنه لقي ابن عباس فقال: «ما تقول في سلاطين علينا -يعني سلّطوا علينا- يظلموننا، ويشتموننا، ويعتدون علينا في صدقاتنا، ألا نمنعهم؟»، قال: «لا؛ أعطهم، الجماعة الجماعة -يعني: الزم الجماعة، ولا تخرج على السلطان- إنّما هلكت الأمم الخالية بتفرقها، أما سمعت قول الله: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾»(٢).

قد كتب رجلٌ إلى ابن عمر: أن اكتب لي بالعلم كلِّه، فكتب إليه: «**إنّ العلم كثير، ولكن إن استطعت أن تلقى الله خفيف الظهر من دماء الناس، خميص البطن من أموالهم، كافّ اللسان عن أعراضهم، لازمًا لأمر جماعتهم فافعل**»(٣).

أمّا دوافع الافتراق؛ فمن أعظمها: الهوى، والحسد، والمخالفة في الأفهام.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٣٥٩).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٣٩٢٠).

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣١/ ١٦٩).

أمّا عن الهوى فقال شيخ الإسلام: «ولهذا كان من خرج عن موجب الكتاب والسنّة من المنسوبين إلى العلماء والعبّاد يُجعل من أهل الأهواء كما كان السلف يُسمُّونهم (أهل الأهواء)؛ وذلك أنّ كل من لم يتّبع العلم فقد اتّبع هواه، والعلم بالدين لا يكون إلا بهدى الله، الذي بعث الله به رسوله ﷺ»(١)، واتباع الهوى سبب الضلال، قال الله -تعالى-: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص:٥٠]، قال الإمام الشاطبي -يرحمه الله-: «وتأملوا هذه الآية؛ فإنها صريحةٌ في أن من لم يتّبع هدى الله في هوى نفسه فلا أحد أضلُّ منه، وهذا شأن المبتدع، فإنه اتّبع هواه بغير هدىً من الله، وهدى الله هو القرآن»(٢).

ثمّ أخيرًا العلاقة بين اجتماع الأفهام والأبدان، قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «أهل رحمة الله أهل جماعة، وإن تفرّقت دورهم وأبدانهم، وأهل معصيته أهلُ فُرقة وإن اجتمعت دورهم وأبدانهم»، قال عمر بن عبدالعزيز(٤): «إذا رأيت قومًا يتناجون في دينهم بشيء دون العامّة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة»؛ لأنه لو اجتمعت أبدانهم على فهمٍ صحيح لأظهروا للعامّة، لكن

---

(١) «الاستقامة» (٢/ ٢٢٥).

(٢) «الاعتصام» (١/ ٦٧).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١١٢٩٠).

(٤) رواه اللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٢٥١).

لمّا اجتمعت أبدانهم على مفاسد عقديّة، وانحرافات منهجيّة، فلذلك اختبأوا في السراديب المظلمة.

وينبغي أن نعلم -أيها الإخوة- أنّ اجتماع الأبدان له علاقة باجتماع الأفهام، فنبينا ﷺ يقول لأمته، -هذاخطاب وإن قاله للصحابة فهو إلى يوم الدين-: «**لتسوُّنّ صفوفكم -وهذا اجتماع أبدان- أو ليُخالفنّ الله بين قلوبكم**»[(١)]، فإذًا هناك علاقة، فالتدابر، وتنافر الأبدان يؤدي إلى تنافر القلوب، ورأى أصحابه متفرقين في الشعاب والوديان، فقال: «إنّ تفرقكم هذا من عمل الشيطان»[(٢)].

فلبقاء سلامة الأفهام لا بدّ من المحافظة على اجتماع الأبدان، فعليكم بالجماعة، فإنّما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

ولا يخفى عليكم قصّة واصل بن عطاء حينما خالف شيخه في فهمه، فاعتزله ببدنه حتى قال: اعتزلنا واصل، فأصبحت مقولة مثلًا.

وقصّة جماعة التكفير والهجرة حينما اعتزلوا مساجد المسلمين؛ أدى ذلك إلى التكفير وإلى غير ذلك، وما ينتج الآن من تفجير وتدمير إنما هو بسبب انسلاخ أفهام هؤلاء من أمتهم وإن كانوا يعيشون معهم بأبدانهم،

---

(١) رواه البخاري (٧١٧)، ومسلم (٤٣٦).

(٢) رواه أحمد (١٧٧٣٦)، وأبو داود (٢٦٢٨)، وصحَّحه شيخنا -رحمه الله-.

ولهذا قيل: «من جالس جانس»، «والمرؤ على دين خليله فلينظر أحدكم من يُخالل»[١].

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ الثبات على دينه، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجمع قلوبنا وأبداننا على الحق المبين والصراط المستقيم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) رواه أحمد (٨٤١٧)، وأبو داود (٤٨٣٣)، وحسَّنه شيخنا رحمه الله.

مدير الندوة فضيلة الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، قالوا -أيها الإخوة الأحبّة-: «إحكام البدايات سلامة في النهايات»، فالانحراف اليسير عن الخط المستقيم قد يبدوا للوهلة الأولى أنّ البعد عن الصراط المستقيم قليل، ولكن مع المضي والاستمرار فإنه يُصبح مع مرور الزمن بعيدًا وبعيدًا جدًا، والذي ندعو إليه إخواننا وأحبائنا في هذا الملتقى العلمي: الثبات على الحقّ والعدل الذي معهم؛ فهو تركة العلم فيهم ولهم، وإنّهم بثباتهم على الحقّ والعدل يدحضون افتراء المفترين، وتقوّل المتقوِّلين، وتشكيك المتربصين، وكيد الحاسدين، ويُقطع دابر هؤلاء جميعًا بالاعتصام، والثبات، والاجتماع، والوحدة على الحقّ والعدل، وبهذا فقط نعلوا على أعدائنا، وتظهر كلمتنا، وتنتشر دعوتنا، ونحن -ولله الحمد- أهل ملّة، وأهل ديانة، والدين كله يقين واجتماع لا يتزعزع ولا يتفرّق، وقواعد لا تزلُّ ولا تحيد.

وأنبه إخواني أخيرًا أن ينتبهوا كما أنّ للشرّ دورة بلغنا فيها الافتراق، وتتمثّل هذه الدورة بالانتشار فالعموم، فالاستقرار، فالاستحكام،

فالاستعصام، فالعلو، فهكذا دورة الخير، فانتبهوا، واحرصوا، وعضّوا على الحقّ الذي معكم بالنواجذ، وإياكم أن تحيدوا عن مفهوم الجماعة الشرعيّة التي يُحبها الله ويرضاها، واحرصوا على اجتماع أفهامكم، ولتكن أبدانكم تبعًا لأفهامكم، وإياكم وسمسار أحزاب ينفخ في سراب.

وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

توصيات الملتقى العلمي الدعوي الثاني

١- الأمة الإسلاميَّة هي الأمة القيّمة المختارة، وبقاء خيريتها بالتَّوحيد والوحدة، فلا ينبغي التَّفريق بينهما.

٢- لا وحدة حقيقية بين المسلمين إلا على منهج السَّلف الصَّالح؛ لأنَّه سبيل المؤمنين.

٣- لا بدّ مِن الوحدة الحقيقية بين المسلمين على الأسس الشَّرعيَّة؛ ليستطيع المسلمون الوقوف بثبات في وجه التيارات التي تريد تفريقهم وتمزيق جمعهم.

٤- ينبغي على المسلمين التعاون فيما بينهم على البر والتقوى، وأن ينصح بعضهم لبعض في المسائل التي يسوغ فيها الخلاف والإنكار على المخالف، والرَّد عليه بالأمور التي لا يسع المسلم المخالفة فيها، كمسائل الاعتقاد والمنهج، وما أجمع عليه المسلمون.

٥- لا بُدَّ للمسلمين من تخصيص العناية لبلاد الشام وأهلها، فإليها المنتهى بكلمات الله الكونيّة والشّرعيّة، وبخاصة أنّ فيها المسجد الأقصى المبارك، الذي جعله الله قيامًا للناس في آخر الزَّمان، قال الرسول الله ﷺ: «إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم»، وقال: «ألا إن الإيمان حين تقع الفتن في الشام».

٦- مِن أعظم أسباب الوحدة بين المسلمين اجتماع كلمتهم على طاعة أولياء أمورهم في المعروف، ولا طاعة في معصية الله، لكن لا ننزع يدًا من طاعة، فلا تهييج أو خروج، أو غلو، أو تطرف، أو تكفير، أو تفجير.

٧- حركات الغلو والتَّطرف مِن دعاة التَّكفير والتَّفجير خطر على الوحدة بين المسلمين، فينبغي كشف أمرهم والتَّحذير مِن خطرهم صيانة لأمن البلاد والعباد.

٨- الأساس في وحدة المسلمين: اجتماع فهمهم على كلمةٍ سواء في ضوء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وعلى منهج السَّلف الصَّالح.

٩- لا بُدَّ مِن الحذر والتَّحذير مِن مخططات الأعداء، ومقابلتها بما يُضادها ويبطلها، ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٥].

١٠- لا بُدَّ لأهل السُّنَّة والجماعة، أتباع السَّلف الصَّالح مِن مرجعية علمية تتوفّر فيها شروط الاجتهاد، ومعرفة أحوال المسلمين في البلاد، والحرص على أمن البلاد والعباد، وسياسة الناس بواجب الوقت: بالتي هي أحسن للتي هي أقوم.

ونسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يتم علينا نعمته، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هائيَّة التوفيق

حَيّا الإله حضورنا مِن إخوة ... أخواتِنا أيضًا بذات الله

جاء الجميع مُعظّمين لشرعنا ... تعظيم حقّ ليس فيه مُضاهي

لا ينظرون إلى المُخذِّل جمعهم ... إلا كذي حَزْمٍ بذا الإنباه

هل يستوي ذاك المحقُّ بحقه ... مع صاحب القلب الصدود اللاهي

و(المركز العلمي) قام بنصرة ... للحق صنوَ عبادةِ الأوّاه

هذا اللقاء (الملتقى) لقلوبنا ... في (وحدة) فيها الهدى مُتماهي

والشكر موصول لكل مشارك ... من باذل للجهد أو للجاه

كلٌّ له حق كبير فضلُه ... ذا شكرُنا ليس له مُتناهي

والشكر موصول لكل مشارك ... من باذل للجهد أو للجاه

كل له حق كبير فضله ... ذا شكرنا ليس له متناهي

والشكر أيضًا (للمشايخ) مِن هنا ... و(إدارة) بالقلب والأفواه

ذي دعوةٌ هدي الرسول إمامها ... وأَمَامَها: فأوامرٍ ونواهي

والرميُ بالإرجاء زعم فاشلٌ ... هو صادر من جاهل أو ساهي

إيماننا قول وفعل عقْدُه ... بالعلم والحقِّ وذي الأشباه

قل لي بربك يا مُجيبنَي ... أين الهدى مِن كبر ذي التَّيَّاه

أين الهدى من ذي الدليل بحقّه ... أين الهدى من صائح جَهجَاه

لا لستَ تسمع منه غيرَ صُراخة ... في وجهكم طورًا كذاك تُجاهي

هل يستوي ذاك المخبِّئُ رأسه ... مع مثل صادع قوله بوجاه

هذا كغيرِ مُفارقٍ لتَسنُّنٍ ... هل حُكمه كمرافقٍ لدواهي

هل يلتقي -يا قوم- ذاكر عقله ... (فوقًا) كمثل الذّاكر الأستاه

هذا وربي شأن كل قبيحة ... (سُفلًا) كمثل جهالة بسفاه

إني لأستحي وربي عالم ... لكنَّ قولي جاء بالإكراه

لا والذي رفع السماء بقوة ... خرَّت له بالحقِّ كل جباه

إن البطولة يا محبُّ هي الهدى ... من دونها ذاك السَّفيه الواهي

لا يستوي متمسك بكتابه ... مع مبطن للسوء أو وهواه

هذا الذي قد قلت صدق واقع ... نطقت بنور الحق منه شفاهي

الفهرس

القسم الأول: المحاضرات والأوراق العلمية المقدمة للملتقى

- المقدمة ٥
- توحيد الألوهية وأثره في وحدة المسلمين؛ الشيخ صالح طه ١٣
- الوحدة بين المسلمين سنة كونية وفريضة شرعية؛ الشيخ حسين العوايشة ٣٤
- مقومات الوحدة بين المسلمين؛ د. باسم الجوابرة ٥١
- عقبات في طريق الوحدة الإسلامية؛ د. محمد الحمود النجدي ٦٩
- أساليب أعداء الإسلام في تفريق كلمة المسلمين؛ د. محمد موسى نصر ٨٩
- قواعد منهج السلف في تحقيق الوحدة بين المسلمين؛ الشيخ أكرم زياده ١٠٧
- شعار (نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه) رؤية شرعية
- دراسة وتأصيلًا-؛ الشيخ علي الحلبي ١٢٩

***

القسم الثاني: الندوات

- وحدة المسلمين بين التكوين والتمكين ١٥١
- وحدة المسلمين بين الأفهام والأبدان ١٧٧

***

- توصيات الملتقى العلمي الدعوي الثاني ٢١٦
- هائيَّة التوفيق ٢١٨
- الفهرس ٢٢٠